

الاستشراق والدراسات الاسلامية

جمع واعداد : اشتقت لك امي

د/ محمد سعيد صبري صباح

المحاضرة التمهيدية

□ المرجع الرئيس :

(١) الاستشراق والدراسات الإسلامية ؛ تأليف: عبد القهار داود العاني . [عمّان (الأردن) – دار الفرقان للنشر والتوزيع – ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م].

□ المراجع المساعدة :

- (١) الاستشراق ؛ تأليف: إدوارد سعيد.
(٢) حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي؛ تأليف: سالم ياقوت.
(٣) تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا؛ تأليف: يوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم .

المحاضرة الأولى

خطبة الحاجة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا . مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران]
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (١) [النساء]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) [الأحزاب] .
وبعد :-

أيتها الطالبات الكريمات، أيها الطلاب الكرام:

أحييكم بتحية الإسلام، تحية أهل الجنة؛ فسلام الله عليكم ورحمته سبحانه وبركاته، ومن رحاب جامعتكم (جامعة الملك فيصل) أرحب بكم أجمل ترحيب؛ سائلا الله سبحانه لكم النجاح، والتفوق، وتحصيل العلم النافع والمعرفة المفيدة. ثم إنه يسرني اللقاء بكم على مائدة العلم؛ لأقدم لكم المحاضرة الأولى لمقرّر (الاستشراف والدراسات الإسلامية)؛ تحت عنوان:

العلاقة بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي
خلال العصور الأولى و العصور المظلمة في أوروبا
□ مراجع ومصادر تعليمية للتوسّع والبحث العلمي.

أولاً : الغرب النصراني الأوروبي يعيش عصوراً مظلمة.

ثانياً : الشرق الإسلامي يعيش عصوراً مشرقة.

ثالثاً : تَبَدُّدُ ظلام الغرب النصراني باستيراده علوم الشرق الإسلامي.

رابعاً: العلاقة بين الجهتين بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية.

وسأتحدث هنا بخصوص الأمور الثلاثة الأولى، على أن أستكمل الحديث بخصوص الأمر الرابع في المحاضرة الثانية بمشيئة الله سبحانه.

مراجع ومصادر تعليمية للتوسُّع والبحث العلمي

□ إضافة لما ذكرته من مراجع في المحاضرة التمهيديّة: أوْدُ قبل البدء في هذه

المحاضرة الإشارة إلى أنّ هناك مراجع ومصادر تعليمية أخرى مفيدة وأنصح بها الطلبة الراغبين في التوسُّع الدّراسي أو إعداد البحوث العلمية ذات الصلة بهذا المقرّر؛ وهي الآتية: -

١. الاستشراق الفرنسي المعاصر؛ تأليف: ميشال آلار.
٢. الاستشراق أهدافه وآثاره؛ تأليف: عبد القهار العاني.
٣. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري؛ تأليف: محمود الزقزوقي.
٤. التبشير والاستعمار في البلاد العربية؛ تأليف: عمر فروخ والخالدي.
٥. الثقافة الإسلامية وقضايا ثقافية معاصرة؛ تأليف: محمد عبد الله حياني.
٦. رؤية إسلامية للاستشراق؛ تأليف: أحمد غراب.
٧. صور استشراقية؛ تأليف: عبد الجليل شلبي.
٨. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي؛ تأليف: محمد البهي.
٩. محاضرات في الاستشراق والدراسات الإسلامية؛ تأليف: محمد عبد الدايم الجندي.
١٠. المستشرقون؛ تأليف: نجيب العقيلي.
١١. المستشرقون والإسلام؛ تأليف: عرفان عبد الحميد.
١٢. المستشرقون بين الإنصاف والعصبية؛ تأليف: محمد علوي المالكي.
١٣. المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام؛ تأليف: علي الشحود (نسخة إلكترونية - المكتبة الشاملة).

أولاً: الغرب النصراني الأوروبي يعيش عصوراً مظلمة

□ المقصود بالعصور المظلمة: -

عاش الغرب النصراني الأوروبي مرحلة تاريخية عُرفت لدى المؤرخين باسم (العصور المظلمة) أو (القرون المظلمة)؛ وهي الفترة التاريخية الممتدة من أواخر القرن الخامس الميلادي إلى أواخر القرن العاشر الميلادي؛ أي: هي القرون الخمسة الأولى من العصور الوسطى. بل إنّ البعض قد عدّ العصور الوسطى بأكملها [والتي هي - بالتحديد التاريخي التقريبي - الفترة الممتدة من سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية على يد الجرمان (سنة: ٤٧٦م) إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية الشرقية على يد الأتراك العثمانيين (سنة: ١٤٥٣م)] عدّها عصوراً مظلمة فيما يخص الأوروبيين.

□ سبب هذه التسمية: -

أما سبب تسمية هذه المرحلة من تاريخ الغرب النصراني الأوروبي بهذا الاسم (العصور المظلمة) فيمكن إرجاعه إلى غرق معظم أوروبا حينذاك في ظلمات كل من :

١. الفوضى والغوغائية وانعدام النظام.
٢. غياب الحياة المدنية.
٣. الجهل والتخلف العلمي.
٤. العنصرية والتعصب الديني.
٥. كثرة الحروب والصراعات العرقية.

ثانياً: الشرق الإسلامي يعيش عصوراً مشرقة

حاول بعض المستشرقين سحب الظلمات التي كانت تغطي أجواء أوروبا لتشمل معهم الشرق الإسلامي المسلم؛ مدّعين زوراً وبهتاناً أن التاريخ العالمي بأكمله قد مرّ بمرحلة العصور الوسطى وأنها كانت عصوراً مظلمة في حق جميع الشعوب.

لكن الحقيقة الماثلة أمام الجميع والتي لا يمكن طمس معالمها وتغييرها هي غير ذلك؛ ففي الوقت الذي كان الغرب النصراني الأوروبي يعيش تلك الأوقات العصبية المظلمة كان المسلمون في بغداد وغيرها من حواضر الشرق الإسلامي يعيشون عصراً ذهبياً، مشرقاً بنور الإيمان والعلم والازدهار الحضاري. فهما حالتان متناقضتان في الغرب النصراني والشرق الإسلامي، ينبغي عدم تعميم إحداهما على الأخرى.

تقول الدكتورة نجلاء عز الدين - وهي باحثة أمريكية الجنسية عربية الأصل - في كتابها (العالم العربي): ((تعتبر العصور الوسطى عادة أنها عصور مظلمة ، وفي هذا الاعتبار تجاهل للنشاط الثقافي الجاري حينذاك في الشرق الأدنى وتأثيره على أوروبا، وهو يعطي صورة مغلوطة مشوهة عن تطور الحضارة العربية. والحقيقة هي أننا لو درسنا الثقافة العربية الإسلامية في العصور الوسطى وجدنا تلك العصور تضاهي في إشراقها أي عصر آخر من الإبداع والإنتاج في التاريخ)).

وقد ألقى المستشرق المنصف المدعو (جورج سارتون) نوراً ساطعاً على هذه المرحلة التاريخية للتطور البشري في كتابه العظيم (مقدمة لتاريخ العلم)؛ حيث تتبع فيه المعرفة ونمو الفكر البشري من الصين شرقاً إلى إيرلندا غرباً خلال ألفي سنة من التاريخ؛ من (هوميروس) قبل الميلاد حتى آخر القرن الثالث عشر للميلاد، وقسم بحثه الشامل هذا حقبات زمنية؛ مدة كل حقبة منها نصف قرن، ويحمل كل منها اسم المفكر أو العالم الذي نبغ فيه.

وقد احتل النتاج العقلي للحضارة العربية الإسلامية مرتبة متقدمة في هذا الكتاب؛ بل كان في الطليعة الأولى؛ حيث حملت حقباته أسماء الكثيرين من علماء العرب والإسلام، منهم - على سبيل المثال لا الحصر - العالم الكيميائي المسلم

جابر بن حيان، الذي ورد ذكره في ذلك البحث في سياق الكلام الآتي: ((ولم تكدمضي مائة سنة على خروج العرب من صحرائهم؛ أي: في القرن الثامن للميلاد حتى أصبح العراق مركزاً لأعظم نشاط فكري في ذلك العصر، إذ أنه بالنظر إلى ما اتصف به المجتمع العربي الجديد من قوة فنية وعزم متوقد تقاطر أهل العلم والمعرفة من مختلف البلدان وأقصاها إلى مدن العراق المنشأة حديثاً: البصرة والكوفة وبغداد.

والنصف الثاني من هذا القرن - أي: القرن الثامن للميلاد - هو عصر جابر بن حيان، المعروف عند الأوروبيين في العصور الوسطى، وهو أعظم رجال العلم في تلك العصور... وتأثير جابر واضح في سياق تاريخ الكيمياء في أوروبا)).

وقد عدَّ (سارتن) القرن التاسع للميلاد قرناً إسلامياً؛ بسبب التفوق العام لمؤلفات العلماء والباحثين المسلمين على ما أنتجته الأقطار الأخرى، وأكد على أن هذا التفوق قد استمر طوال القرن العاشر للميلاد؛ حيث نشرت جميع الاكتشافات الجديدة والآراء الحديثة باللغة العربية التي كانت حينذاك (الوسيلة الدولية للتقدم العلمي)، ولم يُنشر باللغات الأخرى سوى النزر اليسير.

ثالثاً: تَبَدُّدُ ظلام الغرب النصراني باستيراده علوم الشرق الإسلامي.

□ اشتمد النشاط العلمي عند المسلمين في القرن الحادي عشر للميلاد؛ فبلغت فيه الحركة العلمية ذروتها في العصور الوسطى، وصار العلم عندهم مناراً يُهْتَدَى به في ظلمات تلك القرون التي كان الغرب النصراني الأوروبي يعيشها حينذاك.

□ ولما أدرك الغرب النصراني الأوروبي تلك الحقيقة التي رآها ماثلة أمامه؛ حرص على استيراد العلم من العالم الإسلامي لكي يُبَدِّدَ به الظلمات التي كان يعيشها، وعمل على نقله إليه بطرق كثيرة، كان منها ما يأتي: -
✓ طريق الأندلس؛ البلد الإسلامي الذي كان حينذاك محل إشعاع ومدنية وتشريع للغرب مما لم يعهدوه من قبل؛ فمن الأندلس العربية الإسلامية انتشرت الثقافة الإسلامية في أوروبا.

✓ طريق الترجمة: وقد كان من أقدم المترجمين الأوروبيين وأعظمهم كل من: -
(1) المترجم (أديلارد أوف بان)، الذي تعلم اللغة العربية خلال زيارته لصقلية وسوريا، وكان شديد الإعجاب بالعلوم العربية. المترجم (مايكل سكوت)، الذي تعلم اللغة العربية في الأندلس، ثم دخل في خدمة ملك صقلية (فردريك الثاني) وترجم العلوم والفلسفة من العربية، وكان أحد مؤسسي فلسفة ابن رشد اللاتينية.

✓ كما حث كثيرون من علماء أوروبا طلابهم على التوجه إلى مدارس العرب للاستفادة من علومهم؛ فمن هؤلاء (روجر باكون)؛ الذي كان كثير الإعجاب باللغة العربية وعلومها، وأشار على طلبته بهجر مدارس أوروبا والاتحاق بمدارس العرب.

المحاضرة الثانية

العلاقة بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي

بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية

أولاً: اهتمام الغرب بالعرب قبل الإسلام.

ثانياً: اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام.

ثالثاً: ازدياد اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد انتشار الفتوحات الإسلامية.

رابعاً: مُعاداة الغرب النصراني للشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية.

أولاً: اهتمام الغرب بالعرب قبل الإسلام

➤ بدأ اهتمام الغرب بالعرب وبلادهم (شبه الجزيرة العربية) منذ ما قبل

الميلاد؛ وهذا ما أظهره النظر في كتب المؤرخين القدامى من أمثال: -

✓ المدعو (هيرووديتس) مؤرخ القرن الخامس قبل الميلاد، الذي كشف عن اهتمامه بالعرب من خلال ما كتبه عنهم في غير واحد من كتبه المتعددة.

✓ المدعو (ينوفراست) الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد - وكان تلميذاً للفيلسوف المشهور (أرسطو) - فقد بلغ من اهتمامه ببلاد العرب أن تحدث عنها حديثاً شيقاً في كتابه (تاريخ النبات).

➤ واستمر هذا الاهتمام إلى ما بعد الميلاد أيضاً، وهذا ما أثبتته دراسات

تاريخية متعددة ! كتلك المتعلقة بما كتبه المؤرخ الروماني الشهير المدعو

(جليني) في القرن الثاني للميلاد؛ فقد ثبت أنه جمع أسماء قبائل (وسط شبه الجزيرة العربية) ومدنها وقراها، ودونها في كتبه.

ثانياً: اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام

يُعدُّ العرب بوتقة الإسلام الأولى وحاضنته الرئيسية، وبعد ظهور الإسلام فيهم - على

يد الحبيب المصطفى (محمد بن عبد الله) وانتشاره في عموم (شبه الجزيرة العربية)

خلال القرن السابع الميلادي - ازداد اهتمام الغرب النصراني بالتعرف عليهم؛ إلا

أنَّ ما عرفه هؤلاء بخصوص العرب المسلمين ودينهم الجديد حينذاك كان قليلاً جداً؛

فمن ذلك: -

✓ علمهم بظهور دين جديد في (شبه الجزيرة العربية) يسمى الإسلام، على يد

نبي اسمه (محمد بن عبد الله)

✓ وعلمهم بتحوُّل مدينتين من مدن (شبه الجزيرة العربية) وهما (مكة)

و(المدينة) - بعد ظهور الإسلام - إلى مدينتين مقدستين عند المسلمين.

✓ وانتشار خرافة بينهم؛ مفادها: أن جثمان النبي الكريم (محمد) صلى الله عليه وسلم . معلق في الهواء.

ثالثاً: ازدياد اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد انتشار الفتوحات الإسلامية

- لما انتشرت الفتوحات الإسلامية، ووصلت معالم الدين الإسلامي الجديد آفاق المشرق والمغرب؛ برزت في أوروبا حالة دينية جديدة، تمثلت في التخلي عن النصرانية والإقبال على اعتناق الإسلام من قِبَلِ أعدادٍ كبيرة من نصارى أوروبا، فُدرتْ بعشرات الملايين.
- وقد ساعد على اقتناع هؤلاء بالإسلام ثم اعتناقهم إياه: ما حوته كتبهم المقدسة من بشارة بظهور النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم بعد (عيسى) - عليه السلام -، وما لمسوه في المسلمين الفاتحين من ورَع وعدل، وما وجدوه في دين الإسلام من رحمة وإنسانية وتسامح وتشريع فريد من نوعه.
- بهذا الخصوص؛ يقول (ولفرد سميث) في كتابه: الإسلام في التاريخ الحديث: "والإسلام هو القوة الإيجابية الوحيدة التي انتزعت من المسيحيين أناساً دخلوا في الدين الجديد وأمنوا به بعشرات الملايين".

رابعاً: معاداة الغرب النصراني للشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية

- ما إنْ ظهرت راية الإسلام في الأندلس وثبتت حضارته فيها وفي غيرها، ونال الكثيرون من الغربيين النصارى شرف الدخول في الإسلام؛ حتى بدأ الغرب النصراني الرسمي (ممثلاً برجال الكنيسة) ينظر إلى الإسلام نظرة توجس وريبة، يساوره الخوف على أهليه أن تزداد أعداد المعتنقين منهم للإسلام.
- لذلك سارع إلى عزلهم عن أن يروا نور الإسلام على صفائه وربانيته؛ وسلك في سبيل ذلك طرقاً عدّة، كان من بينها طريق الكتابة عن الإسلام ونشر الأبحاث العلمية عنه؛ بعد شحنها بالشبهات العقديّة، وملئها بالافتراءات على كتاب الإسلام ورسول الإسلام (محمد)؛ مُقدِّماً لأهليه بذلك إسلاماً مشوهاً، على أمل تحصينهم ضدّه، والحيلولة دون انتشاره بينهم.

بهذا الخصوص؛ يقول (برناردشو)، الغربي المعروف بثاقب فكره وسعة اطلاعه، - وفقاً لما نقله العاني في كتابه: الاستشراق والدراسات الإسلامية - :

" لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بطابع أسود حالك؛ إمّا جهلاً وإمّا تعصباً. إنهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل بغض محمد ودينه، فعندهم أن محمداً كان عدواً للمسيح.

ولقد درست سيرة محمد، الرجل العجيب؛ وفي رأيي أنه بعيد جداً من أن يكون عدواً للمسيح، إمّا ينبغي أن يُدعى (منقذ البشرية) "

ولعلَّ من أصرح ما يدل على بغض رجال الكنيسة لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه الحنيف؛ ما ورد على لسان المستشرق (كيمون) بهذا الخصوص؛ وهو قوله: " إنَّ الديانة المحمدية جذام! تقشَّى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً " .

ويقول أحمد غراب في كتابه: رؤية إسلامية للاستشراق، تحت عنوان (موقف الغرب من الإسلام في القرون الوسطى):

■ " كان موقف الغرب من الإسلام في تلك الفترة [أي: القرون الوسطى] موقفاً ينطوي على بعض الإعجاب الممتزج بالشعور بالهيبه أمام قوة الإسلام وحضارته.

■ ولكن الخوف كان هو العنصر الأساسي الذي ظل يسيطر على هذا الموقف طوال القرون الوسطى؛ فقد كان الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه يمثل خطراً حقيقياً (عقائدياً وحضارياً وحرابياً) على أوروبا المسيحية.

■ فمنذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) كانت قوة الإسلام المتكاملة (السياسية والحربية والثقافية والروحية) في نمو مضطرد وانتشار مستمر.

■ وخلال القرون الثلاثة الأولى شملت الفتوحات الإسلامية بلاداً كثيرة، ومناطق شاسعة، ذات أهمية حيوية، كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية المسيحية؛ منها مصر والمغرب وإسبانيا (الأندلس) وصقلية وبعض أجزاء فرنسا.

■ وامتد الزحف الإسلامي تدريجياً إلى شبه القارة الهندية وأندونيسيا والصين في آسيا، بالإضافة إلى امتداده إلى أفريقيا.

■ ولم تكن الفتوحات الإسلامية مجرد فتوحات حربية؛ بل كانت في كثير من جوانبها فتوحات حضارية وعقائدية؛ فقد دخل كثير من الناس، وكثير من المسيحيين أنفسهم في الإسلام، وفقدت المسيحية أعداداً كبيرة من أتباعها الذين اختاروا الدخول في الإسلام؛ وبخاصة في البلاد التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية.

■ وكانت أوروبا تشهد هذا التوسع الإسلامي، وهي تمر بفترة من التخلف والجهل؛ وصفها المؤرخ (جيبون) - في كتابه: تاريخ انهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية - بأنها كانت أحلك الفترات في التاريخ الأوروبي " إذن؛ فقد تضافر الخوف من توسع انتشار الإسلام، مع الجهل بتعاليمه السمحة، والحدق عليه في تكوين صورة مشوهة عنه لدى الغرب النصراني في العصور المظلمة في أوروبا.

تعليق

أُتضح مما سبق من حديث بخصوص (العلاقة بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي خلال العصور الأولى والعصور المظلمة في أوروبا) أمران رئيسان: -

أحدهما: أنَّ الغرب النصراني قد استفاد من علوم الشرق الإسلامي استفادة كبيرة؛ بدد بها ظلام أحلك الفترات في تاريخه.

والآخر: أنَّ الغرب النصراني في الوقت نفسه الذي كان ينهل فيه من علوم المسلمين؛ كان يعادي دينهم (وهو الإسلام) ويحاربه، ويعمل جاهداً على الإساءة إليه بثتى الوسائل المتاحة.

لا تنسوا امي واخي من دعواتكم

المحاضرة الثالثة

تاريخ الاستشراق

أولاً: تعريف كلمتي (استشراق) و (مستشرق)؛ لغةً.

ثانياً: تعريف (الاستشراق)؛ اصطلاحاً.

ثالثاً: تعريف (المستشرق)؛ اصطلاحاً.

رابعاً: نشأة (الاستشراق).

خامساً: عصر ازدهار (الاستشراق).

أولاً: تعريف كلمتي (استشراق) و (مستشرق)؛ لغةً

- (الاستشراق): مصدر الفعل (استشرق)؛ [تقول: استشرق، يستشرق، استشراقاً؛ فهو مستشرق].
- وكلمة (استشراق): كلمة حديثة، مشتقة من مادة (شرق)؛ وقد استعملت أصلاً للدلالة على الاتجاه نحو جهة الشرق.
- وقد ورد تعريف كلمتي (استشراق) و(مستشرق) في (معجم متن اللغة) على النحو الآتي: " (الاستشراق): طلب علوم الشرق ولغاتهم، ويسمى من يقوم بذلك (مستشرق)، وجمعه (مستشرقون)، وما ينجزونه يسمى (استشراقاً) ".
- وكلمة (استشراق) هي ترجمة للكلمة الإنجليزية (أوريانتياليزم: Orientalism)، وأمّا كلمة (مستشرق) فهي ترجمة للكلمة الإنجليزية (أوريانتياليسنت: Orientalist)؛ فكلاهما مأخوذتان من الكلمة الإنجليزية (أوريانت: Orient) التي هي بمعنى الشرق.

ثانياً: تعريف (الاستشراق)؛ اصطلاحاً

حظي الاستشراق بتعريفات اصطلاحية كثيرة، عرّفه بها المشتغلون بالدراسات الاستشراقية، وكذلك الباحثون في هذا المجال؛ من مستشرقين وغيرهم!؛ وفيما يأتي ذكراً أربعة من أهمّها: -

(١) عرّفه المستشرق الألماني المشهور (رودي بارت) بأنّه: (علم الشرق، أو علم العالم الشرقي).

(٢) وعرّفه المفكر الإسلامي (محمد حيّاني) بأنّه: (دراسة علوم الشرق في بلاد الغرب للتمكن من صياغة الشبهات ضد الإسلام ولغته بالأسلوب المناسب).

٣) وعرفه (إدوارد سعيد) بأنه: (أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة صياغته وتشكيله*، وممارسة السلطة عليه). [أي*: إعادة صياغة الشرق وتشكيله في شتى المجالات؛ ولا سيما في المجالين: الفكري والثقافي].

٤) وعرفه المفكر الإسلامي (أحمد غراب) بأنه: (دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون – من أهل الكتاب بوجه خاص – للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب (عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخاً ونظماً وثروات وإمكانيات)؛ بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدّعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي).

والذي يظهر من دراسة هذه التعريفات الأربعة وغيرها، أنّ هذا التعريف الأخير هو أقربها إلى الدقة والشمول؛ لأنه يؤكد على الصفة الأساسية للشرق الذي تتركز عليه الدراسات الاستشراقية، وهو الشرق الإسلامي؛ الذي لا بد أن يكون هو مركز الاهتمام في دراسة الاستشراق.

ثالثاً: تعريف (المستشرق)؛ اصطلاحاً

- عرّف [قاموس أكسفورد الإنجليزي - Oxford Dictionary] (المستشرق) بأنه: مَنْ تَبَحَّرَ* في لغات الشرق وآدابه. [أي*: الغربي الذي تبحّر في ..].
- ويرى بعض الباحثين في مجال الاستشراق عدم حصر مصطلح (مستشرق) في وصف الغربي الذي يكتب عن الشرق، ويدعون إلى توسيعه ليشمل كل من يكتب عن الشرق بنفس طريقة كتابة المستشرق الغربي حتّى وإن كان من أبناء الشرق الإسلامي نفسه.
- ومما يحسن ذكره أنّ بعض الكتاب الغربيين الآن ينفرون من استعمال هذا المصطلح (مستشرق)، ويحبون استعمال مصطلح (متخصص في الدراسات الشرقية) بدلاً منه؛ وذلك نظراً لما صار يحمله هذا المصطلح من أبعاد وخلفيات مُخرِجة أحياناً.

رابعاً: نشأة (الاستشراق)

□ نشأة (الاستشراق)؛ كمصطلح:

- لم تكن كلمتا (استشراق) و (مستشرق) متداولتين في العصور المتقدمة، وإنما ظهرت في زمن متأخر جداً؛ بل يشير بعض الباحثين إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين على أنّهما الفترة التي ظهرت فيها.
- فقد ظهرت كلمة (استشراق) - [أوريانتياليزم: Orientalism] - في اللغة الإنجليزية عام (١٨١١م)، وفي اللغة الفرنسية عام (١٨٣٠م).

- أما كلمة (مستشرق) – [Orientalist] - ؛ فقد ظهرت في اللغة الإنجليزية عام (١٧٧٩م) ، وفي اللغة الفرنسية عام (١٧٩٩م).
- لكنه لم يتم إقرارهما كمصطلحين في المعاجم اللغوية، إلا بعد انتشار تداولهما في الأوساط العلمية خلال القرن التاسع عشر الميلادي.
- حيث تم إدراجهما ضمن المصطلحات الواردة في (قاموس الأكاديمية الفرنسية) سنة (١٨٣٨م)، أي: خلال القرن التاسع عشر الميلادي.
- يُذكر أنّ كثيراً من الترجمات الاستشراقية أصدرها المستشرقون قبل ظهور مصطلح (استشراق)، وكانت أهدافهم السيئة من إصدارها واضحة وضوح الشمس دون أن يلقبوا في تلك الفترة بالمستشرقين؛ وعليه فإنّ النشاط الاستشراقي، وكذلك ترجمة العلوم العربية والإسلامية قد سبقا مصطلح (استشراق).

□ نشأة (الاستشراق)؛ كفكر ونشاط:

- كان الاستشراق في بداية أمره جهوداً فردية وعفوية؛ مما صعّب على الباحثين والمؤرخين تحديد تاريخ نشأته بدقة بسنة معينة أو فترة معينة؛ فاختلّفوا في ذلك وتباينت آراؤهم.
- ففي حين أرجع بعضهم ظهوره إلى ذلك اللقاء الذي تم بين المسلمين والنجاشي في الحبشة، رأى آخرون أنّه ظهر مع ظهور الإسلام وحدث أول لقاء بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونصارى نجران.
- بيد أنّ هناك آراء اشتهرت بين المؤرخين بهذا الخصوص؛ وفيما يأتي عرض لأبرزها: -

الرأي الأول: أنّه نشأ في أواخر القرن السابع الميلادي

وذلك لأن أول اهتمام من النصارى بالكتابة عن الإسلام والرد عليه ظهر في ذلك الوقت؛ عندما كتب يوحنا الدمشقي (٦٧٦م - ٧٤٩م) كتابه الذي وضّح فيه للنصارى كيفية مجادلة المسلمين

الرأي الثاني: أنّه نشأ في القرن العاشر الميلادي

وذلك لأنّه الفترة التي شهدت ذهاب الرهبان الأوروبين إلى الأندلس الإسلامية، وتزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها وتزايد اهتمامهم بحركة الترجمة، حيث كان من أبرز من اهتم بهذا الأمر الراهب الفرنسي (جربرت)؛ الذي درس في الأندلس ثمّ لمّا تقلد منصب البابوية عام (٣٩٠هـ) الموافق (٩٩٩م) أوصى بفتح المدارس وترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات الأوروبية.

يُذكر أنّ الكاتب (نجيب العقيلي) كان من الذين رأوا هذا الرأي.

الرأي الثالث: أنّه نشأ في القرن الثاني عشر الميلادي.

وذلك لأنّه القرن الذي تمّ فيه إنجاز الغرب النصراني لأوّل عمل علمي مُميّز - من وجهة نظرهم - وهو ما تمثل في إتمام أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة

اللاتينية عام (٥٢٨هـ) الموافق (١١٤٣م)، على يد المدعو (روبرت أوف كيتون)، وبمعاونة من المدعو (فرمان أوف دالماتيا).

يُذَكَّرُ أَنَّ الْمُسْتَشْرِقَ الْأَلْمَانِي (رُودِي بَارْت) كَانَ مِنْ الَّذِينَ رَأَوْا هَذَا الرَّأْيَ.

الرأي الرابع: أنه نشأ في القرن الثالث عشر الميلادي.

وذلك لأنه القرن الذي أمر فيه ملك (قشتالة) الملقب بالحكيم والمدعو (الفونس العاشر) بإنشاء معهد للدراسات العليا (سنة: ١٢٦٩م)، وجعل من اهتمامات ذلك المعهد ترجمة معاني القرآن الكريم ليس إلى اللاتينية وإنما إلى اللغة الإسبانية،

واختار لذلك المعهد بعض المترجمين من المسلمين والنصارى واليهود ليمارسوا الترجمة إلى اللغة الإسبانية؛ فترجم المسلمون معاني القرآن الكريم إلى الإسبانية، وترجم النصارى (الإنجيل) إلى الإسبانية، وترجم اليهود (التوراة والتلمود) إلى الإسبانية.

الرأي الخامس: أنه نشأ في القرن الرابع عشر الميلادي.

وذلك لأنه القرن الذي انعقد فيه مؤتمر (فيينا) الكنسي (سنة: ١٣١٢م)؛ حيث تقرّر في ذلك المؤتمر إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، فَعُدَّتْ تلك القرارات البداية الرسمية للاستشراق، أو (بداية الاستشراق الرسمي)؛ نظراً للصفة الرسمية لمؤتمر فيينا الكنسي، وتمثيله لعدد كبير من كنائس الغرب.

خامساً: عصر ازدهار (الاستشراق)

➤ يكاد المؤرخون يجمعون على أن الاستشراق لم ينتشر بصورة جدية في العالم الغربي اليوم إلا بعد حركة الإصلاح الديني التي قام بها المدعو (مارتن لوثر) وغيره، خلال القرن السادس عشر الميلادي.

➤ فمنذ ذلك القرن بدأت أوروبا ببناء نهضتها الصناعية والعلمية، وأنشأت العديد من الجامعات، وافتتحت العديد من مراكز البحوث، وأنفقت ولم تزل تنفق على تلك الجامعات والمراكز بسخاء؛ فتحرّكت فيها الدوائر العلمية، وأخذت تصدر كتاباً تلو كتاب، وبحثاً تلو آخر.

➤ ثم ازداد النشاط الاستشراقي في العالم الغربي بعد تأسيس كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية؛ مثل: كرسي كامبريدج (سنة: ١٦٣٢م)، وكرسي أكسفورد (سنة: ١٦٣٨م).

➤ ويُعدُّ تأسيس الجمعيات العلمية؛ مثل: (الجمعية الآسيوية البنغالية)، و(الجمعية الاستشراقية الأمريكية)، و(الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية) بمنزلة الانطلاقة الكبرى للاستشراق؛ حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمت جميعها إسهاماً فعّالاً في البحث والاكتشاف، وفي التعرف على عالم الشرق وحضارته، فضلاً عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية.

➤ وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة: إنشاء (مدرسة اللغات الشرقية الحية) في فرنسا، برئاسة المستشرق الفرنسي (سِلفِسْتِر دي ساسي)؛ التي

كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين، وأسهمت في صبغ الاستشراق
بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن.
➤ ازدهرت الحركة الاستشراقية ازدهاراً حقيقياً في القرنين التاسع عشر
والعشرين الميلاديين؛
✓ ففي هذين القرنين ظهرت الجمعيات الاستشراقية،
✓ وخلال هذين القرنين بدأ عقد المؤتمرات الدولية للمستشرقين؛ حيث عُقد أول
مؤتمر دولي لهم في القرن التاسع عشر الميلادي وتحديداً في عام (١٨٧٣م).

المحاضرة الرابعة

أهداف الاستشراق

لم ينشأ الاستشراق عبثاً! بل نشأ لتحقيق أهداف كثيرة؛ وفيما يأتي عرض لأبرز تلك الأهداف: -

أولاً: هدفه الديني.

ثانياً: هدفه العلمي.

ثالثاً: هدفه التجاري.

رابعاً: هدفه السياسي الاستعماري.

أولاً: هدفه الديني

○ يُعدُّ الهدفُ الديني أولَ أهداف الاستشراق وأهمّها على الإطلاق؛ بل لقد كان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق، كما كان مصاحباً له خلال مسيرته التاريخية الطويلة، لم ينفكَّ عنه؛ إذ لم يكن من السهل على معظم المستشرقين النصارى نسيان إنكار الإسلام لعقيدتي (التثليث) و (الصلب والفداء) الأساسيتين في ديانتهم النصرانية، ولا نسيان المد الإسلامي الذي محى النصرانية عن وجه الخريطة في كثير من بقاع الأرض؛ يوم أن اعتنقه ملايين النصارى، فتربع على قلوبهم؛ وكان الحق الذي أزهق الباطل.

○ إنَّ الغرب النصراني قد عدَّ التعرف على الإسلام (بالتعمق في دراسته) الوسيلة المثلى لتسويبه ومن ثم لتنفير النصارى منه، ومحاربتّه، وإطلاق حملات (تنصيرية) لتنصير أتباعه في الشرق الإسلامي وغيره من أماكن تواجد المسلمين؛ لذا فإنَّ الهدف الديني للاستشراق قد سار - منذ البداية - في

ثلاثة اتجاهات متوازية، متضافرة، عملت معاً جنباً إلى جنب لتحقيقه؛ وهذه الاتجاهات هي الآتية: -

الأول: اتجاهٌ تمثل في العمل على حجب نور الإسلام عن النصارى والحيلولة دون وصوله إليهم؛ وذلك لمنع دخول المزيد منهم فيه. وهو ما سمّاه بعضهم (حماية النصارى من خطر الإسلام).

الثاني: اتجاهٌ تمثل في الهجوم على الإسلام ومحاربتّه عسكرياً (في البداية)، ثم فكرياً (بعدما فشلت الحملات العسكرية)؛ وذلك من خلال ممارسة ما يأتي: -

١. عمليات تشويه للعقيدة الإسلامية ومبادئ الإسلام وقيمه ومصادره وتاريخه.

٢. الطعن في القرآن والتشكيك في صحته.

٣. الطعن في شخص الرسول محمد والتشكيك في صحة رسالته.

٤. الطعن في الحديث النبوي والتشكيك في صحته.

٥. الطعن في الفقه الإسلامي، بادّعاء أنّه مستمد من الفقه الروماني.
٦. الطعن في قدرة اللغة العربية على مسايرة ركب التقدم العلمي.

الثالث: اتجاهٌ تمثل في العمل على تنصير المسلمين حيثما وجدوا، وما أمكن ذلك، أو إفساد دينهم عليهم؛ وذلك ليكونوا من الخاضعين للغرب العلماني فكرياً واجتماعياً. إذْنُ؛ فقد كان الهدف الديني للاستشراق بحق هدفاً صليبيّاً – وفقاً لما يراه المفكر الإسلامي المعاصر أحمد الحلبي –؛ بل “ويمكن تسميته بالهدف الأسود؛ لما انطوى عليه من حقد على الإسلام وأهله، ومن إضرار الشر للأمة الإسلامية”.

ثانياً: هدفه العلمي

- يُعدُّ الهدف العلمي واحداً من أهم أهداف الاستشراق؛ بل لقد كان هذا الهدف وراء إقبال الأوربيين على دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية؛ بعد اقتناع زعمائهم بأنّه " إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم؛ تدرس لغاته وآدابه وحضارته".
- لقد عدَّ الغربيون دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية، أخذ بسبب من أسباب النهضة؛ لذا لم يتركوا كتابات لعلماء المسلمين في مجال ما إلا واطلعوا عليها، وترجموا عنها، ونهلوا من معينها، ثم ألفوا فيها بعد ذلك؛ إذ الكتابة وليدة القراءة.
- وتظهر هذه الحقيقة واضحة جلية عند الرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية، وإلى قوائم مؤلفات المستشرقين المتعلقة بعلوم الشرق الإسلامي؛ فلقد " بلغ ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف قرن – منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين – ستين ألف كتاب "؛ شملت دراسات في العقيدة والشريعة، وعلوم القرآن، وعلوم السنة النبوية، والتصوف والأخلاق، وتاريخ الأدب العربي، والتاريخ العربي الإسلامي، وغير ذلك من الموضوعات الدينية والعربية.
- وإنّ مما يحسن التنبيه عليه بخصوص هذا الهدف أنّ المستشرقين (في دراستهم لمنجزات الحضارة الإسلامية، وإقبالهم على كتب التراث الإسلامي) تنوّعوا نوعين؛ هما: -

النوع الأول: مستشرقون منصفون؛ ذوا هدف علمي موضوعي؛ هو معرفة الحق والوصول إلى الحقيقة؛ للتمسك بها.

وهؤلاء قلّة؛ اعترفوا بأنّ المبادئ الإسلامية تتفق والحقائق العقلية المنطقية، وتتوافق مع الحقائق العلمية، وشهدوا للفكر الإسلامي بالريادة في العلوم عامّة وفي العلوم التجريبية والرياضية خاصّة؛ بل إنّ بعضهم قد اقتنع بالإسلام، فسارع إلى اعتناقه، وجنّد نفسه للدفاع عنه وعن قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته.

وإذا كان بعض هؤلاء لم يسلم من الوقوع في أخطاء علمية، أو الخلوص إلى استنتاجات بعيدة عن الحق؛ فما ذلك إلا لجهلهم بأساليب اللغة العربية وطرائق التعبير فيها، أو لحدائثة إسلامهم وجاهلهم بتفصيلات التاريخ الإسلامي؛ ولا يطعن ذلك أبداً في موضوعيتهم ونزاهتهم.

وبخصوص هذا النوع من المستشرقين؛ يقول المفكر الإسلامي أحمد الحليبي (في كتابه: قضايا ثقافية معاصرة): "أقبل نفر قليل من المستشرقين على كتب التراث الإسلامي بهدف الاطلاع على حضارات الأمم الشرقية وثقافتها ولغاتها، ودراستها دراسة موضوعية وجادة؛ رغبةً في الوصول إلى الحقيقة العلمية. وقد كان هؤلاء أقلّ من غيرهم خطأ؛ لأنهم - فيما يظهر - لم يتعمدوا التحريف والدس، فجاءت بحوثهم أقرب إلى الصواب والموضوعية من غيرهم، بل إنّ منهم من اهتدى إلى الإسلام".

ومن أمثلة هذه القلّة المنصفة: -

✓ (آني ماري شيمل)؛ وهي من أشهر المستشرقين الألمان المعاصرين، درست الإسلام ففهمته، وعرضته لبني قومها بأسلوب علمي موضوعي جعلهم يمنحوها لذلك أسمى جائزة ينالها كاتب في ألمانيا؛ وهي الجائزة المعروفة

لديهم باسم (جائزة السلام)، وأصدرت العديد من الكتب التي أنصفت فيها الإسلام والمسلمين كثيراً؛ كان من بينها كتاب (محمد رسول الله)؛ الذي بسطت فيه مظاهر إجلال المسلمين لرسول الله

✓ (ليوبلد فايس)؛ وهو مستشرق نمساوي، أسلم وغيّر اسمه إلى (محمد أسد).
✓ (دانين دينيه)؛ وهو مستشرق وفنان فرنسي، أسلم وغيّر اسمه إلى (ناصر الدين دينيه)، وألّف كتاباً سمّاه (أشعة خاصة بنور الإسلام)؛ بيّن فيه تحامل الغرب النصراني على الإسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقد عاش في الجزائر ودُفِنَ فيها (بعد موته في فرنسا).

✓ (روجيه جارودي)؛ وهو مستشرق وفيلسوف فرنسي، أسلم وغيّر اسمه إلى (رجاء جارودي)، وألّف عدة كتب دافع فيها عن قضايا العالم الإسلامي، وخاصة القضية الفلسطينية، وحق الشعب الفلسطيني في وطنه (فلسطين).

النوع الثاني: مستشرقون متعصبون؛ ذوا هدف علمي مُغرض؛ يتمثل في دراسة التراث الإسلامي دراسة مُعمّقة، الغرض منها تشويه الحقيقة، وتنفير الناس.

وهؤلاء هم الكثرة الكاثرة من المستشرقين؛ الذين يلتقي لديهم الهدف العلمي للاستشراق بالهدف الديني له، في إضمارهما كليهما الشرّ للأمة الإسلامية.

وبخصوص هذا النوع من المستشرقين؛ يقول المفكر الإسلامي أحمد الحليبي (في كتابه: قضايا ثقافية معاصرة): "تغلّبت النزعة العدائية للإسلام على معظم المستشرقين في كتاباتهم؛ ويعود هذا إلى إدراكهم أنّ الإسلام بعقائده وتعاليمه وأحكامه هو الدين الحق؛ لذا عمدوا إلى تشويه صورته في نفوس المسلمين ولدى

أبنائهم، مستخدمين أسلوب إثارة الشبه، والتقليل من شأن الدين الإسلامي، وتزوير تاريخه؛ لتنتفير الناس منه ”.

ومن أعلام هذه الكثرة المتعصبة: -

- ✓ (كارل بروكلمان) ؛ وهو مستشرق ألماني، اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي، وألف فيه كتاباً سمّاه (تاريخ الشعوب الإسلامية) ضمّنه كثيراً من المغالطات والافتراءات على الإسلام.
- ✓ (هنري لامانس) ؛ وهو مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام ، له كتابات حول السيرة النبوية وحول الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، اشتهرت بافتقارها للنزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها. وقد عدّ نموذجاً سيئاً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين.
- ✓ وآخرون ؛ سيأتي ذكرهم في مواقعهم من مفردات هذا المقرر – بمشيئة الله -.

ثالثاً: هدفه التجاري

ظهر الهدف التجاري للاستشراق واضحاً جلياً في عصر ما قبل الاستعمار الغربي الذي اجتاح العالم الإسلامي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

- إذ عندما بدأ الأوروبيون نهضتهم العلمية والصناعية، وبدأت صناعاتهم بالازدهار؛ كانت مصانعهم بحاجة (من جهة) إلى مواد أولية لتغذيتها، وبحاجة (من جهة ثانية) إلى أسواق تجارية لتصريف منتجاتها؛ فكان لا بد لهم من محاولة معرفة البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ويمكن أن تكون (في الوقت نفسه) أسواقاً مفتوحة لمنتجاتهم، وتعود عليهم بالخير العميم (تجارياً وصناعياً)، وتحقق الرفاهية لشعوبهم.
- لهذا كانت الشركات الغربية الكبرى تقدم للباحثين في شؤون الشرق الإسلامي المال الوفير؛ مقابل حصولها منهم على تقارير معرفية تتعلق بجغرافية تلك البلاد الإسلامية وثرواتها الطبيعية والبشرية وحاجات أسواقها.
- من هنا حصل المستشرقون على الدعم المالي السخي لأبحاثهم ودراساتهم التي قاموا بها بخصوص وصفهم لمنابع الثروات في البلاد الإسلامية.
- ويرى بعض الباحثين: أنّ الهدف التجاري للاستشراق لم يتوقف عند بدايات الاستشراق؛ بل لم يزل أحد أهم الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية؛ فمصانع الغربيين لم تزل بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي، ولم تزل (في الوقت نفسه) بحاجة إلى أسواقه لتصريف إنتاجها (الزائد عن حاجة أسواقها المحلية)، ولجني المزيد من الأرباح.

- يُذكر؛ أنّ بعض أشهر البنوك الغربية لم تزل تصدر تقارير شهرية، هي في ظاهرها تقارير اقتصادية وفي حقيقتها دراسات استشرافية متكاملة؛ حيث يقدم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية

للبلاد العربية الإسلامية ليتعرف أرباب الاقتصاد والسياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العالم الإسلامي.

رابعاً: هدفه السياسي الاستعماري

(سيأتي الحديث عنه ضمن الحديث عن علاقة الاستشراق بالاستعمار، بمشيئة الله سبحانه)

المحاضرة الخامسة

آثار الاستشراق

أثر الاستشراق في العالم الإسلامي (تأثيرات سلبية)، في كل من المجالات: الديني، والعلمي، والاقتصادي، والسياسي، والثقافي، وغيرها؛ وفيما يأتي عرض لأبرز تلك الآثار السلبية: -

أولاً: أبرز آثاره السلبية في المجال الديني.

ثانياً: أبرز آثاره السلبية في المجال العلمي.

ثالثاً: أبرز آثاره السلبية في المجال الاقتصادي.

رابعاً: أبرز آثاره السلبية في المجال السياسي.

خامساً: أبرز آثاره السلبية في المجال الثقافي.

أولاً: أبرز آثاره السلبية في المجال الديني

(١) ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين نادوا بالعلمانية (أي: فصل الدين عن الحياة)؛ اقتداء بالغرب النصراني الأوروبي الذي ثار على الدين - ممثلاً بالكنيسة - وحاربه وقصره على الممارسات الشعائرية التعبدية داخل الكنائس؛ مخالفين بذلك ما جاء به الإسلام من ربط لكل مجالات الحياة بالإيمان بالله عز وجل وبالتصور الإسلامي للعلاقة بين الخالق سبحانه والمخلوق والكون.

توضيح ذلك:

إنَّ البعثات العلمية الأولى التي انطلقت من بعض أقطار العالم الإسلامي (مثل: تركيا ومصر وإيران والمغرب) إلى (فرنسا)؛ لدراسة الهندسة والعلوم التجريبية والفنون الحربية، كانت خاضعة لإشراف المستشرقين الفرنسيين - كالمستشرق (جونار) - الذي كانت البعثة المصرية تحت إشرافه - وغيره؛ فحرص هؤلاء المستشرقون على نقل ثقافة الفرنسيين وطريقة تفكيرهم اللادينية إلى طلابهم المسلمين أثناء دراستهم وقبل تخرجهم.

ولمّا عاد هؤلاء المبتعثون إلى بلادهم؛ بعد انبهارهم بما شاهدوه في الغرب (من تقدم تقني) وتأثرهم بما غرسه معلموهم والمستشرقون المشرفون عليهم في نفوسهم وعقولهم من أفكار ونظريات هدامة (في مجال الدين)؛ ما كان منهم إلا أن هاجموا الدين الإسلامي وحملوه مسؤولية تأخر المسلمين عن ركب التقدم، وزعموا أن المسلمين لن يتقدموا حتى يتحرروا من قيوده- مثلما تحررت أوروبا من قيود الدين النصراني المتمثل في سلطة الكنيسة - ؛ لذا دعوا إلى التحرر من الدين، وذلك بفصله عن الدولة، وإبعاده عن التدخل في شؤون الحياة، وجعله مجرد تعاليم أخلاقية لا إلزام فيها، وشعائر تعبدية محصورة في المساجد.

- ٢) انجذابُ بعض أبناء المسلمين (من مفكرين وعلماء وأناس عاديين أو عامّة) إلى الاهتمام بدراسة الطرق الصوفية أو أتباعها؛ تأثراً منهم بما نالته تلك الطرق من مكانة خاصة في النشاطات الاستشرافية.
- ٣) اشتهارُ الفرق المنحرفة كفرقتي (الرافضة) و (الإسماعيلية) – على سبيل المثال لا الحصر – لدى الغربيين عن الإسلام، وظنهم أنّها هي الإسلام ذاته؛ وذلك لمبالغة المستشرقين في الاهتمام بها، وتركيزهم على دراستها تركيزاً كبيراً، ساعد على اشتهارها.

ثانياً: أبرز آثاره السلبية في المجال العلمي

١. انتشارُ كتب المستشرقين، المتضمنة لدراساتهم وأبحاثهم التي أجروها في موضوعات متعلقة بالإسلام (عقيدة وشريعة وسلوكاً وتاريخاً وغير ذلك)؛ وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمد للحقائق والنصوص المنقولة والوقائع التاريخية.
٢. انتشارُ محاضرات المستشرقين التي ألقوها على منابر الجامعات والجمعيات العلمية، بعد دعوتهم إليها من قِبَل القائمين عليها؛ وفي أكثرها طعن في الإسلام واقتراء عليه.
- وبخصوص هذا؛ يقول المفكر الإسلامي أبو الأعلى المودودي (في كتابه: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة): “هذا من تقلبات الدهر وعجائب أمره؛ لقد مرَّ على المسيحيين في أوروبا حين من الدهر كانوا يشدون فيه الرِّحال إلى الأندلس ليتعلموا العلوم حتى علوم الدين المسيحي من علماء الإسلام، أمّا الآن فقد انقلب الأمر رأساً على عَقْب؛ حيث أصبح المسلمون – وأسفاه – يرجعون إلى أهل الغرب (أوروبا) و (أمريكا) يسألونهم: ما هو الإسلام؟ وما هو تاريخه؟ وما هي حضارته؟ ليس هذا فقط؛ بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم ويستوردونهم لتدريس التاريخ الإسلامي وكل ما يكتبونه عن الإسلام والمسلمين، لا يجعلونه مادة للدراسة في كلياتهم وجامعاتهم فقط، ولكن يؤمنون به إيماناً راسخاً يفوق إيمانهم بالمصادر الإسلامية؛ مع أنهم – أعني أهل الغرب- لا يسمحون لأحد إذا لم يكن من أتباع دينهم بأن يتدخل فيما يتعلق بدينهم وتاريخهم ولا في أئقهِ الأمور!.”

٣. صدورُ الموسوعة التي تحمل اسم (دائرة المعارف الإسلامية) بعدة لغات، ثم صدور نحو ثلاثة عشر مجلداً منها مترجمة إلى اللغة العربية؛ بعد كتابة مادّتها من قِبَل حشد كبير من كبار المستشرقين وأشدّهم عداء للإسلام والمسلمين؛ ممن عُرفوا بدسهم السُّمِّ في الدَسَم.

وقد انتشرت هذه الموسوعة في العالم الإسلامي وأصبحت مرجعاً معتمداً لكثير من الباحثين وطلبة العلم! رغم ما حوته من أباطيل تتعلق بالقضايا الإسلامية المذكورة فيها.

ثالثاً: أبرز آثاره السلبية في المجال الاقتصادي

١. انتشار (النظام الاقتصادي الاشتراكي) في بعض بلاد المسلمين، و(النظام الاقتصادي الرأسمالي) في بعض بلاد المسلمين الأخرى؛ وذلك كبديل عن (النظام الاقتصادي الإسلامي)، وانقسم العالم الإسلامي على نفسه؛ فأصبح قسم منه يدور في الفلك الشيوعي، وقسم آخر منه يدور في الفلك الرأسمالي.

وقد تم ذلك بفضل جهود المستشرقين في الترويج للاشتراكية والرأسمالية في العالم الإسلامي؛ حيث قاموا بإعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الشيوعية والرأسمالية، كنوع من التأصيل للنظريتين وتقديمهما على أنهما لا تمثلان خروجاً عن النظام الاقتصادي الإسلامي.

٢. تشجيع الصناعة في البلاد الإسلامية - دون الاستعداد الكافي لها - وإهمال قطاع الزراعة. فقد اقتنع العالم العربي بأن النهضة الحقيقية إنما تكون في الصناعة، ولذلك أهملت الزراعة إهمالاً شبه كلي، مع أن نهضة الغرب الصناعية بدأت بالاهتمام بالزراعة! ولم يزل الغرب يسيطر على إنتاج الحبوب والمواد الغذائية الأساسية في العالم.

ومن الأمثلة على هذا الأمر: ما حدث في (مصر) في عهد الرئيس (جمال عبد الناصر)؛ حيث تم التوسع في مشروعات صناعية (خيالية) مع إهمال شبه تام للزراعة، مما جعل البلاد عالية على الدقيق الأمريكي والأسترالي وغيرهما. وقد حدث مثل هذا أيضاً في (الجزائر)، وإن كان العالم الإسلامي - في الحقيقة - لم يتقدم تقدماً مشهوداً؛ لا في الزراعة ولا في الصناعة.

رابعاً: أبرز آثاره السلبية في المجال السياسي

إقصاء النظام السياسي الإسلامي، وإحلال الديمقراطية الغربية محله.

- فقد هاجم مستشرقون كثيرون في كتاباتهم (نظام الخلافة الإسلامي)، وافتروا على الخلفاء الراشدين، وزعموا - زوراً وبهتاناً - أن وصول كل من (أبي بكر الصديق) و (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنهما - إلى الخلافة كان نتيجة لمؤامرة بين الاثنين.
- كما هاجم مستشرقون آخرون (النظام السياسي الإسلامي)، ووصفوه بأنه نظام قائم على الاستبداد وفرض الخضوع والمذلة على الشعوب الإسلامية.
- وفي الوقت نفسه مدح المستشرقون الديمقراطية الغربية ووصفوها بأنها أفضل نظام سياسي توصل إليه البشر حتى الآن، وأنه (أي: هذا النظام) يجب أن يسود العالم بصفة عامة والبلاد الإسلامية بصفة خاصة.

- وقد تأثرت بعض الدول العربية التي خضعت للاحتلال الغربي بالفكر السياسي الغربي؛ فقامت باستيراد النظام البرلماني المبني على الديمقراطية الغربية، دون إعداد شعوبها العربية لمثل هذه الأنظمة، فكانت النتيجة (كما قال أحد المستشرقين): إنَّ العرب قد استوردوا برلمانات معلّبة دون ورقة التعليمات. ولم تزل هذه البرلمانات في بعض البلاد العربية يتحكم فيها الحزب الحاكم الذي لا بد أن يفوز بأغلبية المقاعد، بأية طريقة كانت.
- ولعلَّ من الحقائق المثيرة للانتباه أنَّ (تركيا) كانت من أوائل الدول الإسلامية التي أقصت النظام السياسي الإسلامي، واستبدلته بالديموقراطية الغربية ولكنَّ عندما وصل الإسلاميون فيها للحكم عبر صناديق الاقتراع، قلبت الدول الغربية لنظامهم الديموقراطي ظهر المجن، وأيدت العسكر في كبت الحريات ومصادرة الديموقراطية.

خامساً: أبرز آثاره السلبية في المجال الثقافي

(١) انهزام الشخصية المسلمة وفقدانها لعزة المؤمن؛ أمام الشبه التي أثارها المستشرقون حول الإسلام. وفي هذا الخصوص؛ يقول المفكر الإسلامي أحمد الحلبي؛ في كتابه: قضايا ثقافية معاصرة، وتحت عنوان (آثار الاستشراق السلبية على ثقافة المسلمين): "بقدر ما كان للاستشراق من آثار إيجابية في خدمة تراثنا وإحيائه ونشره، بقدر ما كان له من آثار سلبية على ثقافة المسلمين؛ منها: إضعاف عقيدة بعض المسلمين، وتشويه صورة الإسلام لدى بعض أبنائه، وإشعارهم بتناقض دينهم وقصوره في مواجهة الجديد والمتطور في واقع الحياة، ومقارنة ذلك بالفكر الغربي الذي أظهره المستشرقون في صورة الفكر المتكامل والمتلائم مع الحياة العصرية، مما أدى إلى انهزام نفسية هؤلاء المسلمين أمام التيار الجارف من كتابات المستشرقين التي تدس الفكر المنحرف، وتثير الشبه حول الإسلام"

(٢) دخول المصادر الغربية إلى قلب التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة؛ سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه ولسنة نبيها أو لفقها أو للعلوم الشرعية الأخرى، أو في منهجية فهم هذه المصادر وفهم منهجية التعامل معها؛ بعد أن كان المسلمون يعيشون على هدي من القرآن الكريم والسنة المطهرة وتراث علماء الأمة (الذين فهموا هذين المصدرين فهماً جيداً) في جميع مجالات الحياة.

وقد تحقق هذا كنتيجة لنجاح الاستشراق في التأثير سلباً على الثقافة في كثير من بلاد العالم الإسلامي، ذلك النجاح الذي استطاع الاستشراق إنجازَه بسبب ما يأتي :-

✓ سيطرته على وسائل الإعلام المختلفة (من صحافة، وإذاعة، وتلفاز، وغيرها) في كثير من بلاد العالم الإسلام؛ فقد أنشئت الصحف والمجلات

التي تولى رئاسة تحريرها أو عمليات الكتابة فيها كثير من الذين تشبعوا بالثقافة الغربية. مما أتاح للاستشراق نشر ثقافته وفكره الغربيين خلالها. وبهذا الخصوص؛ يقول إدوارد سعيد (في كتابه: الاستشراق) : “ وتطغى الآراء المعاصرة للمستشرقين على الصحافة والعقل الشعبي فهو يصور العرب مثلاً على أنهم راكبي جمال، إرهابيين، معقوفي الأنوف، شهوانيين شرهين، تمثل ثروتهم (غير المستحقة) إهانة للحضارة الحقيقية ”.

✓ سيطرته على منابر الرأي في كثير من بلاد العالم الإسلامي ، من خلال ما أنشأه على أراضيها من مدارس وجامعات غربية، ومن خلال أبناء الأمة الإسلامية الذين تلقوا تعليمهم على أيدي المستشرقين في الجامعات الغربية .

(٣) دخول فنون اللهو غير المباح (من مراقص وغناء وغير ذلك) إلى حياة الشعوب العربية الإسلامية بواسطة المسارح ودور السينما التي أنشأها المستشرقون أو مَوَّلوا إنشاءها في العالم الإسلامي.

(٤) تسلُّل الفكر الغربي العلماني إلى الأدب العربي (شعراً ونثراً وقصة) ؛ حيث وصل إليه المستشرقون عن طريق وسائل الإعلام ومنابر الرأي ، وبخاصة عن طريق ما سمي (الحدائث) التي تدعو إلى : نقد النصوص المقدسة ، وتحطيم السائد والموروث ، ومحاربة اللغة الفصحى. فقد استولى هؤلاء على العديد من المنابر العامة ، ولم يتيحوا لأحد سواهم تقديم أية وجهة نظر تخالفهم، وإلا نعتوه بالتخلف والرجعية والتقليدية وغير ذلك من النعوت الجاهزة.

المحاضرة السادسة

علاقة الاستشراق بالتنصير

أولاً: حقيقة علاقة الاستشراق بالتنصير (وحدة الهدف).

ثانياً: نماذج تطبيقية لعلاقة الاستشراق بالتنصير (مُستشرقون مُنصرون).

أولاً: حقيقة علاقة الاستشراق بالتنصير

■ ممّا تم التأكيد عليه (سابقاً - في المحاضرة الرابعة -)، أثناء الحديث المتعلق بأهداف الاستشراق: أنّ الهدف الديني منها قد سار - منذ البداية - في الاتجاهات المتوازية الثلاثة الآتية (التي كانت متضافرة؛ عملت معاً لتحقيقه): -

الأول: اتجاهٌ تمثل في العمل على حجب نور الإسلام عن النصارى والحيلولة دون وصوله إليهم؛ وذلك لمنع دخول المزيد منهم فيه.

الثاني: اتجاهٌ تمثل في الهجوم على الإسلام ومحاربتة عسكرياً (في البداية)، ثم فكرياً (بعدما فشلت الحملات العسكرية).

الثالث: اتجاهٌ تمثل في العمل على تنصير المسلمين حيثما وجدوا، وما أمكن ذلك، أو إفساد دينهم عليهم؛ وذلك ليكونوا من الخاضعين للغرب العلماني فكرياً واجتماعياً.

■ إذن؛ التنصير جزء مهم من الهدف الديني للاستشراق، لا يمكن فصله عنه ولا إخراج منه؛ فهو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً يقيم العلاقة بينهما على أساس قوى متين هو وحدة الهدف.

■ إنّ (المستشرق) و(المنصّر) يكمل أحدهما الآخر؛ فبالرغم من حملهما وصفين مختلفين، أحدهما (مستشرق) والآخر (منصّر)، إلا أنّهما وجهان لعملة واحدة، ولا يختلفان عن بعضهما إلا في توزيع العمل بينهما؛ فالمستشرق يركز في عمله على الدراسة والبحث العلمي، والمنصّر يركز في عمله على تقديم الخدمات الإنسانية بأنواعها من تغذية وتعليم وعلاج وما يشبه ذلك. لكنّ هدفهما في النهاية واحد؛ وهو إضعاف تمسك المسلم بدينه، بشكل يقوده إمّا إلى التَّنصُّر، أو إلى الرِّدّة عن دينه إلى أي شيء آخر (كأن يصبح علمانياً أو قومياً أو اشتراكياً)؛ إذ سوف تكون النتيجة في الحالتين واحدة، وهي التبعية للغرب

النصراني والخضوع له فكرياً واجتماعياً. وبهذا الخصوص؛ يقول المستشرق الألماني (رودي باريت) - مبيناً الهدف الرئيس لجهود المستشرقين في القرن الثاني عشر الميلادي والقرون التالية له - : “ كان الهدف من هذه الجهود هو

التبشير؛ وهو إقناع المسلمين (بلغتهم) ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي” .

■ إنَّ كلاً من (المستشرق) و (المُنصِّر) يتم إعداده لتحقيق هذا الهدف إعداداً جيداً متشابهاً، ويتضح هذا الإعداد المتشابه في المؤهلات الضرورية التي يُستَرتَط توفرها في كل (مستشرق) و (مُنصِّر)، وهي كثيرة [بسطها إبراهيم خليل أحمد – المنصر القبطي الذي هداه الله إلى الإسلام فأسلم وترك مهنة التنصير - (في كتابه: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي)، ونقل عنه أحمد غراب (في كتابه: رؤية إسلامية للاستشراق) بعضها]؛ فمنها: -

١. دراسة اليهودية والنصرانية والكتاب المقدس (بعهديه القديم والجديد) دراسة لاهوتية وتاريخية مُعمَّقة؛ تعمق وعي كلٍّ من المستشرق والمنصر بدينه؛ ليتمكن من مواجهة الدين الإسلامي مواجهة عقائدية. وهذه الدراسة اللاهوتية هي السبب في كون كثير من المستشرقين قساوسة.

٢. دراسة اللغة العربية، والتعمق في دراسة الدين الإسلامي من جميع جوانبه؛ لإكساب كلٍّ من المستشرق والمنصر القدرة على التشكيك في الإسلام، وإثارة الشبهات حول مصدره (الكتاب والسنة) وتاريخه وتشريعاته.

وبهذا الخصوص؛ يقول يوهان فوك (في كتابه: تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا): “ إنَّ كثيراً من المستشرقين قد بدؤوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل التفرغ لميدان الدراسات الاستشراقية، وكان مهمهم إرساء نهضة الكنيسة وتعاليمها، لا سيما في العصور الوسطى؛

أي أن هدفهم كان تنصيرياً واضحاً، فكأنَّ الاستشراق إنما قام لِيُغذِّي التنصير بالمعلومة المنقولة بلغة (المُنصِّر) ” .

- وقد عمل عدد كبير من المستشرقين مع الدوائر التنصيرية؛ فكان من بين المستشرقين الذين تميزوا في مجال التنصير في العالم الإسلامي كلُّ من: -
- ✓ ألفريد جيوم؛ وهو مستشرق مُنصِّر إنجليزي.
- ✓ روبرت سميث؛ وهو مستشرق مُنصِّر اسكتلندي.
- ✓ هنري لامانس؛ وهو مستشرق مُنصِّر بلجيكي.
- ✓ صمويل زويمر؛ وهو مستشرق مُنصِّر أمريكي.

ثانياً: نماذج تطبيقية لعلاقة الاستشراق بالتنصير

تبيّن مما تقدم: ارتباط التنصير بالاستشراق ارتباطاً وثيقاً، وقيام العلاقة بينهما على أساس قوي متين هو وحدة الهدف. ولعلَّ ممَّا يؤكد هذا الارتباط ويزيده وضوحاً النموذجان الآتيان لمُستشرقين مُنصِّرَيْن مشهورين - وهما على سبيل المثال لا الحصر: -

□ النموذج الأول: المستشرق المُنصِّر (ريموند لول)

- ارتبطت البداية العقائدية للاستشراق في أوروبا - أي: كظاهرة عداوة عقائدية للإسلام - ارتباطاً تاريخياً ببداية ظهور الإسلام؛ أمّا البداية الرسمية له - أي: كدراسات أكاديمية منظمة في مؤسسات علمية كالجامعات - فقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالتنصير، حيث أدى المستشرق المنصّر المشهور (ريموند لول) دوراً كبيراً ومهماً بهذا الشأن؛ إذ بناء على اقتراحه الذي قدّمه إلى مؤتمر

(فينا) الكنسي (سنة: ١٣١٢م)؛ قرّر ذلك المؤتمر إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية (منها: جامعة باريس، وجامعة أكسفورد، وجامعة بولونيا، وغيرها)؛ بهدف نشر النصرانية بين المسلمين، وفي تلك الجامعات تخرج المستشرقون المنصّرون المحترفون الأوائل.

ونظراً للصفة الرسمية لمؤتمر (فينا) الكنسي، وتمثيله لعدد كبير من كنائس الغرب؛ عدّ ما قرّره بهذا الشأن (البداية الرسمية للاستشراق).

- تعلم (ريموند لول) اللغة العربية، وحثّ النصارى على تعلمها ليس حباً لها - فقد كان يصفها بأنها لغة تشبه أصوات الحيوانات ولغاتها - ولكن لاستخدامها في عملية تنصير المسلمين.

- مارس (ريموند لول) التنصير في (الجزائر) و(تونس)، كما ألف كتباً في الرد على المسلمين ومجادلتهم والطعن في دينهم.

- كان حلم حياة (ريموند لول) هدم الإسلام - وفقاً لما وصفه به (رينان) -، وجاءت مطالبه التي رفعها إلى (كنيسة روما) في هذا السياق؛ فقد كان من بينها: طلبه إنشاء مدارس تنصيرية، وطلبه إعداد منصرين مدرّبين وإرسالهم إلى بلاد المسلمين، وطلبه إرسال حملة صليبية عسكرية إلى غرناطة وشمال إفريقيا وفلسطين للقضاء على المسلمين فيها.

- وبسبب هذا الدور الذي أدّاه (ريموند لول) في الجمع بين الاستشراق والتنصير والعمل على تحقيق هدفهما؛ احتل مكانة مرموقة لدى كل من المستشرقين والمنصرين، وصارت شخصيته عزيزة عليهم ومحبة إليهم

إلى حد تسمية أحدهم لمولوده باسمه (أي: ريموند لول) إعجاباً به وتخليداً لذكراه، وتأليفه بخصوصه كتاباً سمّاه: (أول منصر بين المسلمين)، وقوله في بيان فضله على المستشرقين: " وإلى يومنا هذا؛ كل مستشرفي أوروبا وكتابتهم مدينة لريموند لول؛ لأنّ الفضل للمتقدّم ".

أمّا من فعل هذا فهو المستشرق المنصر الأمريكي المدعو (صمويل زويمر) المعروف بتعصبه ضد الإسلام؛ وهو النموذج الثاني.

□ **النموذج الثاني:** المستشرق المنصّر (صمويل زويمر)

- جمع هذا الرجل في نشاطاته العلمية والأكاديمية بين الاستشراق والتنصير! فكان من أهم إنجازاته في هذا الشأن: -

- (١) تأسيسه لمجلة (العالم الإسلامي)؛ وهي مجلة أمريكية، تُعدُّ أخطر مجلة تنصيرية عالمية؛ تنشر بحوث المستشرقين المنصرين ومقالاتهم المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وقد ترأس تحريرها لمدة ست وثلاثين سنة، ونشر فيها عدة مقالات له، هاجم فيها الإسلام بشراسة.
- (٢) تأليفه في مهاجمة الإسلام والافتراء عليه كتباً شتى؛ فمنها: -
 ✓ الإسلام تحدُّ لعقيدة (أصدره سنة: ١٩٠٨م).
 ✓ تفكُّك الإسلام.
 ✓ دراسات في الإسلام الشعبي.
- ✓ تأثير الخرافات الشعبية بين المسلمين على الإسلام؛ وهو أحد المراجع الأساسية للمنصرين التي أوصى بها (مؤتمر كولورادو) التنصيري، سنة (١٩٧٨م).
- (٣) تأسيسه مع زملائه (الإرسالية الأمريكية العربية) في منطقة الخليج العربي، سنة (١٨٨٩م). تلك الإرسالية التي عُرِّفت بممارستها للنشاطات التنصيرية خفية؛ وذلك من خلال التعليم والتطبيب؛ حيث أنشأت العديد من المدارس والمكتبات والكنائس في البصرة والكويت وقطر والإمارات، واستمرت في ممارسة نشاطاتها إلى سنة (١٩٧٣م) ثم توقفت.
- (٤) تنظيمه للمؤتمرات التنصيرية العالمية، وهي كثيرة؛ فمنها: -
 ✓ مؤتمر (القاهرة) التنصيري، سنة (١٩٠٦م)؛ ذلك المؤتمر الذي ضمَّ ستين ممثلاً لثلاثين كنيسة وإرسالية تنصيرية، ووصِفَ بأنه يمثل بداية عهد جديد لإرساليات التنصير بين المسلمين.
 ✓ مؤتمر (أدنبَرَة) للإرساليات العالمية، سنة (١٩١٠م).
 ✓ مؤتمر (لكهنؤو) - بالهند - التنصيري الثاني، سنة (١٩١١).
 ✓ مؤتمر (القدس)، سنة (١٩٣٥م)؛ وفيه أُعلنَ بعض الأهداف التنصيرية الخبيثة؛ حيث خاطب المنصرين قائلاً - وفق ما نقله محمد محمود الصواف، في كتابه: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام -
 “إنكم أعددتُم نشئاً (في بلاد المسلمين) لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية. وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي؛ لا يهتم بالعظام، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همّه في دنياه إلا في الشهوات: فإذا تعلم فللشهووات، وإذا جمع المال فللشهووات، وإن تَبَوَّأَ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات وجود بكل شيء. إنَّ مهمتكم تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج، وباركتكم المسيحية، ورضي عنكم الاستعمار؛ فاستمروا في أداء رسالتكم ”.

○ وبسبب هذا الدور الذي أدّاه (صمويل زويمر) في الجمع بين الاستشراق والتنصير وخدمة هدفهما؛ وتقديراً لجهوده في هذا المجال تم إنشاء معهد في جنوب كاليفورنيا، يحمل اسمه (معهد صمويل زويمر)؛ جعلت مهمته إعداد الأبحاث وجمع المعلومات وتدريب المنصرين على تنصير المسلمين. وذلك بتوصية من (مؤتمر كولورادو) التنصيري.

○ وإن ما قاله رئيس منظمة التصور العالمي التنصيرية الدولية؛ المدعو (ستانلي مونيهم) في الخطاب الرئيسي لمؤتمر كولورادو التنصيري، في الإشادة بالمستشرق المنصر (صمويل زويمر) ليدلُّ دلالة واضحة على تلك المكانة المرموقة التي احتلها هذا الرجل لدى كل من المستشرقين والمنصرين.

○ قال (ستانلي مونيهم) في الخطاب الرئيسي لمؤتمر كولورادو التنصيري، - وفق ما نقله محمد محمود الصواف، في كتابه : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام - :

“أين هم الطلبة الذين يدرسون الإسلام، والذين يستطيعون أن يباروا طلاب الماضي؟ ليعطنا الرب رجلاً مثل (صمويل زويمر)؛ الذي أتقن اللغة العربية، وكان عالماً محترفاً في الإسلاميات، ومنصراً مقتنعاً.

لقد عمل لمدة ثلاث وعشرين سنة منصراً في الجزيرة العربية، وست عشرة سنة مديراً لمركز الدراسات الإسلامية والمطبوعات في القاهرة.

واستطاع في الوقت نفسه الإشراف على تحرير أهم مجلة نصرانية عن الإسلام لمدة ست وثلاثين سنة، وهي مجلة العالم الإسلامي ” .

ومن خلال هذين النموذجين تتضح صورة العلاقة الحميمة بين الاستشراق والتنصير !

المحاضرة السابعة

علاقة الاستشراق بالاستعمار

أولاً:

إضمار كل من الاستشراق والاستعمار الشرّ للأمة الإسلامية

ثانياً:

خدمات الاستشراق للاستعمار

ثالثاً:

خدمات الاستعمار للاستشراق

أولاً: إضمار كل من الاستشراق والاستعمار الشرّ للأمة الإسلامية

- إنَّ علاقة الاستشراق بالاستعمار علاقة قوية متينة؛ أنتجها التقاء الهدف الديني للاستشراق والهدف السياسي للاستعمار؛ في إضمارهما كليهما الشرّ للأمة الإسلامية وحرصهما على إلحاق الأذى بالمسلمين (ديناً ووطناً).
- فإذا كان الاستشراق يهدف إلى إلحاق الأذى بالمسلمين (ديناً)؛ وذلك بالعمل على إضعاف تمسك المسلم بدينه، بشكل يقوده إلى الردّة عنه إلى (النصرانية) أو إلى أي شيء آخر (كأن يصبح علمانياً أو قومياً أو اشتراكياً)؛ فإنَّ الاستعمار يهدف إلى إلحاق الأذى بالمسلمين (وطناً)؛ وذلك بالعمل على إخضاعهم واحتلال أراضيهم، ونهب ثروات بلادهم.
- إذن؛ فإن النتيجة المترتبة على تحقّق هدفيهما سوف تكون واحدة، وهي: خضوع المسلمين للغرب، وتبعيتهم له فكرياً واجتماعياً وسياسياً.
- ومن هنا تعاون الاستشراق والاستعمار دائماً على (الشرّ والعُدوان) ، ولم يتعاونوا أبداً على (الخير والإحسان)؛ وذلك في تعاملهما مع الأمة الإسلامية.
- فقد عُرف المستشرقون بعمالتهم للاستعمار، وحرصهم على تحقيق أهدافه، وكانوا الطلائع الاستعمارية لغزو المسلمين والسيطرة على بلادهم - وفقاً لما يراه العاني (في كتابه: الاستشراق والدراسات الإسلامية) -.
- ولقد اختلط الأمر في وقت من الأوقات بين (المستشرق) و(المستعمر) إلى حد تعذّر معه التمييز بينهما - فعلى سبيل المثال لا الحصر-: في الوقت الذي بدأ فيه مستشرق بريطاني وكأّنه (موظف استعماري)، حيث أصدر كتاباً في أربعة عشر مجلداً بعنوان: (دليل الخليج؛ الجغرافي والتاريخي)، بدأ كثير من الموظفين الاستعماريين وكأّن كل واحد منهم (مستشرق)، حيث كانوا على دراية بالشرق (لغة وتاريخاً وسياسة واقتصاداً)، لأنّ الاستعمار كان

يشترط على كل متقدم لوظيفة في الإدارة الاستعمارية الدراية التامة بالمنطقة

التي سيعمل فيها.

□ حَرِيٌّ بِالذِّكْرِ:

- أنَّ الغرب النصراني بدأ استعمارَه التدريجي للشرق الإسلامي خلال القرن التاسع عشر الميلادي.
- وما أنَّ أنت نهاية ذلك القرن حتَّى كانت كل أجزاء العالم الإسلامي تقريباً - في قارتي آسيا وأفريقيا - قد سقطت في براثن الاستعمار الغربي النصراني بوجه عام، والاستعمار البريطاني والفرنسي بشكل خاص.

ثانياً: خدمات الاستشراق للاستعمار

- لقد سار المستشرقون في ركاب الاستعمار؛ وقدموا له خدمات جليلة، وهي كثيرة؛ فمنها: -
- ✓ أنَّهم قدموا له معلومات مفصلة ودقيقة، تتعلق بثروات البلاد المراد استعمارها وخيراتها؛ ممَّا عزَّز أطماعه في استعمارها؛ للاستيلاء على تلك الثروات والفوز بتلك الخيرات.
- ✓ أنَّهم قدموا له معلومات مفصلة ودقيقة، تتعلق بجغرافية البلاد المراد استعمارها وتاريخها؛ ممَّا سهل عليه إخضاعها والسيطرة عليها.
- ✓ أنَّهم قدموا له معلومات مفصلة ودقيقة، تتعلق بالخلفية الفكرية للبلاد المراد استعمارها، وأسرارها الحاكمة، وعادات أهلها وتقاليدهم؛ ممَّا سهل عليه فهم أهلها المُخضعين والتعامل معهم، ونيل ثقتهم.

- ✓ أنَّهم هَيَّأوا أهل البلاد المراد استعمارها نفسياً لِنَقْبَل الاستعمار؛ وذلك بما أقتنعوهم به من أنَّ الاستعمار سيجلبُ لهم الرفاهية ويَحسِّن أحوالهم المعيشية والخدماتية، وغير ذلك ممَّا أوهموهم به؛ ليستسلموا للاستعمار ويتقاعسوا عن مقاومته. ولا يخفى ما في ذلك من خدمة للاستعمار وتسهيل لمهمته.
- وقد كان من بين هؤلاء المستشرقين الذين قدموا للاستعمار تلك الخدمات الجليلة؛ كلُّ من: -

١. الكونت دوفولني؛ وهو مستشرق فرنسي، انتحل شخصية رحالة فطاف البلاد الإسلامية، وجمع مشاهداته في كتاب سمَّاه (رحلة في مصر وسورية) - صدر عام (١٧٨٧م) في مجلدين - تعرَّض فيه للإسلام بسوء؛ بل تحامل عليه، وعدَّ الشرق الإسلامي مجرد مكان يمكن لفرنسا احتلاله

وتحقيق أطماعها الاستعمارية فيه؛ وكان كتابه هذا مصدراً اعتمد عليه الإمبراطور الفرنسي (نابليون بوناپرت) في وضع خطة حملته على مصر.

٢. بارتولد (ت: ١٩٣٠م)؛ وهو مستشرق روسي، ومؤسس (مجلة عالم الإسلام) الروسية. وقد قام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في (آسيا الوسطى).

٣. كارل بيكر (ت: ١٩٣٣م)؛ وهو مستشرق ألماني، ومؤسس (مجلة الإسلام) الألمانية، التي صدرت عام (١٩١٠م)، ويعد من أشهر المستشرقين الذين كتبوا في التاريخ الإسلامي. تولى منصب أستاذ في معهد هامبورغ الاستعماري الذي أنشأته الحكومة الألمانية لمساعدتها في التعامل مع

الشعوب العربية والأفريقية، وقد قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية في قارة أفريقيا.

٤. سنوك هرَجروُنجه (ت: ١٩٣٦م)؛ وهو مستشرق هولندي، ادّعى الإسلام وتظاهر به (كذباً وتمثيلاً). قدم إلى إندونيسيا، فزار (سومطرة) و(آجي) وأقام في (جاوة) مدة سبعة عشر عاماً، تزوج خلالها مسلمة - وله منها أولاد - ووثق صلته بكثيرين من علمائها. وقد خدم الاستعمار الهولندي؛ حيث عمل بصفة رسمية كمستشار للحكومة الهولندية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في إندونيسيا.

قام بمهمة سرية تجسسية لجمع المعلومات عن المسلمين في إقليم (آجي) الثائرين على الاستعمار الهولندي، التقى خلالها العلماء بصفته مسلم، فاكتشف أنهم المحرك الأول للثورة الإسلامية هناك؛ فعاد وقدم تقريره لحكومته، أوصاها فيه بما كانت نتيجته إبادة الجيش الهولندي المستعمر لأكثر من مائة ألف مسلم ومسلمة، وتدميره لقراهم بكاملها.

ثم قدم إلى مكة عام (١٨٨٥م) تحت اسم (عبد الغفار)، فمكث فيها مدة نصف عام، وثق خلالها صلته بالكثير من أهل العلم بتررده على مجالسهم العلمية، كما التقط خلالها صوراً لمكة وللأماكن المقدسة. ثم عاد إلى بلاده ليكتب تقاريره التي تخدم الاستعمار في المشرق الإسلامي. وقد صدرت تلك الصور في كتاب مستقل بمناسبة مرور مائة سنة على التقاطها.

٥. دنكان مكدونالد (ت: ١٩٤٣م)؛ وهو مستشرق أمريكي من أصل انجليزي. كان من أشد المتعصبين ضد الإسلام. وهو من كبار محرري (دائرة المعارف الإسلامية)، ومن كتبه: (الموقف الديني والحياة في الإسلام) - أصدره عام ١٩٠٨م - . وقد خدم الاستعمار البريطاني؛ حيث عمل بصفة رسمية كمستشار للحكومة البريطانية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شبه القارة الهندية.

٦. لويس ماسينيون (ت: ١٩٦٢م)؛ وهو مستشرق فرنسي، شغل منصب مدير الدراسات في (المدرسة العلمية العليا) بفرنسا. وقد خدم الاستعمار الفرنسي؛ حيث عمل بصفة رسمية كمستشار للحكومة الفرنسية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في دول شمال أفريقيا.

٧. هاملتون جب (ت: ١٩٧١م)؛ وهو مستشرق انجليزي. شغل منصب مدير (مركز هارفارد لدراسات الشرق الأوسط) بجامعة (هارفارد) بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد عمل بصفة رسمية كمستشار لكل من الحكومة البريطانية والحكومة الأمريكية في تخطيط سياستيهما الموالية لإسرائيل والمعادية للعرب والمسلمين.

إنّ؛ فقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية للدول الاستعمارية بقوة وبإخلاص تام.

ثالثاً: خدمات الاستعمار للاستشراق

□ لقد خدم الاستعمار الاستشراق خدمات كبيرة؛ وهي كثيرة، فمنها:-

➤ تسخير الحكومات الاستعمارية إمكانياتها المادية الضخمة لخدمة الجهود الاستشراقية؛ من حيث:

✓ دعم المستشرقين دعماً مادياً ومعنوياً.
✓ توفير الدعم المالي الطائل لوسائل النشر والإعلام المعنية بنتائج الباحثين المستشرقين.

✓ اعتماد ميزانيات مالية كبيرة لصالح مراكز الدراسات الاستشراقية المعنية بالدراسات الإسلامية في الشرق الإسلامي، ولكراسي تدريس اللغة العربية والإسلام بالجامعات.

➤ إنشاء الحكومات الاستعمارية المعاهد والمدارس المعنية بدراسة الشرق الإسلامي؛ وهي كثيرة، فمنها: -

✓ إنشاء (معهد اللغات الشرقية) بباريس، عام (١٨٨٥م)، من قِبَل الحكومة الفرنسية، وتحديد مهمته بأنّها: الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية وبلدان الشرق الأقصى؛ مما يشكل أرضية تسهل عملية الاستعمار في تلك المناطق.

✓ تأسيس (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية) بجامعة لندن، من قبل الحكومة البريطانية، بناء على اقتراح من أحد النواب في البرلمان البريطاني.

✓ تأسيس (مجلس الشؤون الشرق أوسطية) عام (١٩٤٩م) في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية.

➤ منح الحكومات الاستعمارية المستشرقين فرصة الاطلاع على التراث الفكري والحضاري للمسلمين - من مراجع ومخطوطات ووثائق علمية تتعلق

بالإسلام (عقيدة وشريعة وتاريخاً) وعلوم المسلمين، والتي بلغ عددها في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي مائتين وخمسين ألف مجلد؛ وفقاً لما ذكره مصطفى السباعي في كتابه: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم- ذلك التراث المهم الذي حصلت عليه تلك الحكومات ونقلته إلى عواصمها؛ لتُسَهِّلَ على المستشرقين الوصول إليه، ودراسته في المؤسسات العلمية المعنية (من معاهد وجامعات). ولا يخفى ما في هذا من عون للمستشرقين لتحقيق أهدافهم، وخاصة الديني منها؛ المتمثل بالتحريف للإسلام والتشكيك فيه وإثارة الشبه حوله.

إذَنْ؛ فقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية للدول الاستعمارية، وخدمت الحكومات الاستعمارية الهدف الديني للاستشراق؛ بما لا يدع مجالاً للشك في قوة العلاقة التي تربط الاستشراق بالاستعمار، وأنها علاقة تقوم على أساس (إضمار الشر) للأمة الإسلامية، و(التعاون على العدوان) عليها.

يقول المفكر الإسلامي (فالح الصغير) في بحثه: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية: "والحق أن الاستشراق صار ملازماً للاستعمار أينما حلَّ وأناخ، وتوسع مجاله ونطاقه بتوسع احتلاله واغتصابه لحقوق الشعوب عامة والمسلمين خاصة".

المحاضرة الثامنة

المستشرقون والقرآن الكريم - الجزء الأول

أولاً:

تعريف القرآن الكريم

ثانياً:

أبرز أسس منهج المستشرقين في دراستهم للقرآن الكريم

ثالثاً:

ترجمة المستشرق (جولد زيهر)

رابعاً:

ترجمة المستشرق (جوستاف لوبون)

أولاً: تعريف القرآن الكريم

□ تعريفه (لغةً):

- مصدر الفعل (قَرَأَ)؛ أي: جَمَعَ وضمَّ. [تقول: (قَرَأَ، قِرَاءَةً)، وتقول أيضاً: (قَرَأَ، قُرْآنًا) فهما بمعنى واحد؛ هو: جمع الحروف والكلمات، وضمُّها بعضها إلى بعض في الترتيل؛ قال الله سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾؛ أي: جمعه وتألّف بعضه إلى بعض. وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾؛ أي: فاتبع قراءته.
- وهو مصدر على وزن (فُعْلان)؛ كالغُفران، والشُّكران. وقد سُمِّيَ المقروء (قُرْآنًا)؛ تسمية للمفعول بالمصدر.
- وقد خُصَّ (القرآن) بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم؛ فصار له كالعَلَم الشخصي.
- وإذا كانت تسمية هذا الكتاب السماوي (المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم خاصة) بهذا الاسم (القرآن)، عائدة عند بعض العلماء إلى كونه قد جمع السور القرآنية فضمها جميعها؛ فإنّها عائدة عند علماء آخرين إلى كونه قد جمع ثمرة الكتب السماوية الأخرى، فضمها جميعها.

□ تعريفه (شرعاً):

عَرَفَهُ أهل العلم بأنّه: كلام الله سبحانه، المُنزَّل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، المعجز بلفظه، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر.

□ حَرِيٌّ بِالذِّكْرِ:

■ أن القرآن الكريم له أسماء كثيرة، سمّاه بها الله سبحانه؛ فمنها: القرآن، الكتاب، الفرقان، الذكر، التنزيل.

■ وقد غلب من أسمائه تلك اسمان؛ هما:-

✓ (القرآن)؛ قال الله سبحانه: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)

✓ (الكتاب)؛ قال الله سبحانه: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

وفي هذا لفظة مهمة؛ نبّه عليها المفكر الإسلامي محمد دراز (في كتابه: النبأ العظيم) فقال: " روعي في تسميته (قرآناً) كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته (كتاباً) كونه مدوناً بالأقلام!... وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد؛ أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً، أن تضل إحداهما فتذكر إحداها الأخرى"

ثانياً: أبرز أسس منهج المستشرقين في دراستهم للقرآن الكريم

○ على الرغم من وجود فئة من المستشرقين عرفت (في دراستها للإسلام) بإنصافها وتميزت بموضوعيتها؛ إلا أن الكثرة الكاثرة من المستشرقين لم تسلم نفوسهم من إضمار الشر للإسلام وأهله؛ بل أعماهم الهوى عن إبطار الحقيقة، ومنعهم التعصب من الإنصاف والموضوعية؛ **فطعنوا في القرآن الكريم، وشككوا في صحته، وافتروا عليه افتراءات كثيرة؛** وذلك في سياق محاربتهم للإسلام، وسعيهم الحثيث إلى إزهاق روحه والقضاء عليه؛ من خلال القضاء على مصدره الأول (القرآن الكريم).

○ وقد قامت دراسة هؤلاء (المفترين) للقرآن الكريم على أسس غير سليمة؛ بل ومخالفة لمقتضيات المنهج العلمي في البحث والتحقيق، وهي كثيرة؛ فمن أبرزها الأسس الأربعة الآتية - وهي على سبيل المثال لا الحصر - :

١. استقاؤهم معلوماتهم من علمائهم هم [أي: من المستشرقين الذين كتبوا عن القرآن الكريم]، وليس من علماء الإسلام المعتمدين؛ مما جعل دراساتهم وأبحاثهم منقوصة الحقائق، ممتلئة بالشكوك والأباطيل. مثلما فعلوا عندما ادّعوا أن القرآن الكريم مزيج من النثر البليغ والشعر المُقْفَى، الذي نظمه الرسول على غرار الشعر الجاهلي، فجاء ممتلئاً سجعاً وقوافي.

٢. إنشاؤهم قضايا كاذبة، وتقديمهم إياها على أنها مُسلّمات صادقة؛ ثم انطلاقهم منها في ممارسة الافتراءات وتقديمها على أنها نتائج مُلزِمة. مثلما فعلوا عندما وضعوا قاعدة تقول: ليس القرآن وحيّاً من الله إلى رسوله (محمد) صلى الله عليه وسلم ، ثم صاغوا افتراءاتهم في ضوئها.

٣. اكتفاؤهم بإيراد الشبه وإثارة الشكوك حول المسائل المدروسة ؛ دون إجراء تحقيق علمي بشأنها أو إقامة للأدلة العلمية عليها. مثلما فعلوا عندما وصفوا طريقة نزول القرآن بواسطة الوحي بأنها هذيان مصاحب لصرع أو مرض عقلي كان يصيب الرسول

٤. دفعهم المستمر باتجاه تثبيت مقولتهم (إنَّ القرآن مأخوذ من الكتابين السماويين: التوراة و الإنجيل) على أنها حقيقة مؤكدة؛ سعياً منهم لتبرير بطلان الإسلام وسلامة الديانتين (اليهودية) و (النصرانية). مثلما فعلوا عندما ادَّعوا أنَّ كل ما تحدث عنه القرآن الكريم بشأن اليوم الآخر وأحوال يوم القيامة إنما هو مستقى من اليهودية والنصرانية.

ثالثاً: ترجمة المستشرق (جولد زيهر)

هو إبناز جولدزيهر [Ignaz Goldziher]، (١٨٥٠-١٩٢١م) :-

- ✓ مستشرق مجري الجنسية، يهودي الأبوين والديانة.
- ✓ درس في بودابست (عاصمة المجر) ثم برلين ثم انتقل إلى جامعة ليبسك والتحق فيها بقسم الدراسات الشرقية، وحصل منها على شهادة الدكتوراه.
- ✓ رحل إلى القاهرة، وحضر بعض الدروس في الأزهر، ثم رحل إلى سوريا، وصحب الشيخ طاهر الجزائري مدة، ثم انتقل إلى فلسطين.
- ✓ عمل في جامعة بودابست في مجال الدراسات العربية والإسلامية، ثم أصبح أستاذاً للغات السامية عام (١٨٩٤م).
- ✓ يُعدُّ عمدة المستشرقين اليهود في التاريخ الحديث ؛ بل أكبر المستشرقين المتعصبين جميعاً ، ورأسهم.

✓ كما يُعدُّ بحق أخطرَ مستشرق ظهر في الغرب خلال القرون الثلاثة الأخيرة؛ من حيث ما أظهره في كتاباته حول الإسلام (عقيدة وشريعة وتاريخاً) من تحامل عليه ومغالاة في معاداته وتعصب ضده ومهاجمة لمصدره (القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة)، وكتبه في هذا المجال كثيرة؛ فمن أهمها: -

١. الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم.
 ٢. دراسات إسلامية.
 ٣. الإسلام والدين الفارسي.
 ٤. العقيدة والشريعة في الإسلام (تمت ترجمته عام: ١٩٤٦م).
 ٥. مذاهب التفسير الإسلامي (تمت ترجمته عام: ١٩٥٥م).
- ✓ كان له تأثير قوي في الدراسات الاستشراقية، ولم يزل تأثيره ذلك قائماً حتى يومنا هذا؛ حيث انتشرت كتبه بمختلف اللغات الأوروبية.

فهذه (جامعة برنستون) بالولايات المتحدة الأمريكية - على سبيل المثال لا الحصر- لم تزل تقرّر كتابه (دراسات إسلامية) في مناهج (قسم دراسات الشرق الأدنى) بها، كما قامت مؤخراً بنشر ترجمة جديدة لذلك الكتاب مع تعليقات للمستشرق (برنارد لويس).

- ✓ وقد رد عليه عدد من المفكرين الإسلاميين؛ كان من أبرزهم: -
- مصطفى السباعي؛ في كتابه: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.
- محمد الغزالي؛ في كتابه: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين.

- نور الدين عتر؛ في كتابه : منهج النقد في علوم الحديث.
- محمد جبل ؛ في كتابه : الرد على جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية.
- ✓ كما أُعدَّت حول (الجوانب العقديّة والتاريخية في كتاباته) بحوث كثيرة ، ورسائل علمية في بعض الجامعات العربية.

رابعاً: ترجمة المستشرق (جوستاف لوبون)

هو جوستاف لوبون [G.Lebon] ، (١٨٤١ - ١٩٣١م).

- ✓ مستشرق فرنسي.
- ✓ فيلسوف، وطبيب، ومؤرخ، وعالم آثار.
- ✓ يُعدُّ من أشهر فلاسفة علم الاجتماع الفرنسيين، وله في هذا المجال كتاب : روح الاجتماع.
- ✓ عمل في أوروبا، وآسيا، وشمال أفريقيا.
- ✓ قام خلال حياته برحلات عدّة إلى أقطار العالم الإسلامي؛ اطلع خلالها على علوم المسلمين؛ فترسخ لديه اعتقاد جازم بأن المسلمين هم من مدّنوا أوروبا.
- ✓ اهتم بدراسة الحضارات الشرقية عامّة؛ وكتب في ذلك عدّة كتب؛ فمنها: -
- ١. حضارات الهند.
- ٢. الحضارة المصرية.
- ٣. سرُّ تقدم الأمم.
- ✓ كما اهتم بدراسة الحضارة العربية والإسلامية خاصّة؛ وكتب في ذلك كتابين ؛ هما: -
- ١. حضارة العرب في الأندلس.
- ٢. حضارة العرب (تمت ترجمته).
- ✓ لم يَنْهَج (في كتاباته) نهج معظم المؤرخين الغربيين في تجاهل فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا وإنكاره ؛ وإنّما أقرَّ بذلك الفضل؛ حيث أصدر عام (١٨٨٤م) كتابه (حضارة العرب) ؛ الذي جمع فيه عناصر عديدة ممّا أثرت به حضارة العرب والمسلمين على العالم . فكان بذلك من الغربيين القلائل الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية.
- ✓ ورغم أنّه عُرفَ بالمعرفة والتحقيق إلاّ أنّه وقع في أخطاء جسيمة تتعلق بأرائه في القرآن الكريم .

المحاضرة التاسعة

المستشرقون والقرآن الكريم - الجزء الثاني

أولاً

مُسَلَّمات تتعلق بالقرآن الكريم

ثانياً

أبرزُ فُرِيَاتِ المستشرقين على القرآن الكريم

أولاً

مُسَلَّمات تتعلق بالقرآن الكريم

- القرآن الكريم: هو كلامُ الله عزَّ وجلَّ
- أنزله الله على رسوله محمد ﷺ، بواسطة جبريل عليه السلام؛ في كتاب سماوي مستقل؛ فقال سبحانه: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)، ونُقِلَ إلينا بالتواتر.
- تَعَهَّدَ اللهُ بجمعه (حروفاً وكلماتٍ)، وتألّفِ بعضه إلى بعض؛ فقال سبحانه: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ؛ لَإِذَا فِإِنَّهُ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ! تَعَهَّدَ اللهُ بحفظه؛ فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ؛ لَإِذَا فَهُوَ كِتَابُ اللهِ عزَّ وجلَّ الخالد، المحفوظ من الضياع والتحريف!
- جعله اللهُ مُعْجِزاً بلفظه؛ فقال سبحانه: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِجُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً؛ لَإِذَا فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْإِتْيَانُ بِمِثْلِهِ!
- ليس القرآن الكريم كلام الرسول محمد ﷺ؛ فما كان لرسول الله أن يَدْرَ الكذب على الناس، ويكذب على الله! وقد ردَّ اللهُ تعالى على ادِّعاءات المشركين أنَّ محمداً يفتري على الله الكذب، فقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ؛
- وهذه كلها مُسَلَّماتٌ؛ بل حقائقٌ، معلومةٌ من دين الإسلام بالضرورة، لا يَنَازِعُ فيها مؤمن رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

ثانياً

أبرزُ فُرِيَاتِ المستشرقين على القرآن الكريم

- برزت لدى معظم المستشرقين نزعتهم العدائية للإسلام؛ بتشكيكهم في هذه المُسَلَّمات، وافترائهم على القرآن الكريم أعظم الفُرِيَاتِ.

○ وقد كان المستشرقان: (إجناز جولدزيهر) و (جوستاف لوبون) من بين هؤلاء المفترين على القرآن الكريم - على تفاوت بينهما في حجم افتراءات كل منهما عليه - .

○ وقد كان هدف هؤلاء المفترين: فصل المسلم عن إسلامه، وزعزعة ثقته بكلام ربّه سبحانه، إلا أنّ محاولاتهم تلك باءت بالفشل الذريع؛ وتساقطت فريئاتهم وشبهاتهم الواهنة أمام سور الحق المنيع، فزَهَقَ باطلهم وطُمِسَتْ معالمه - والله الحمد والمِنَّة - مصداقاً لقول الله سبحانه: ﴿بَلْ نَقَدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ !

○ وفريات هؤلاء بهذا الخصوص كثيرة ، يحتاج إيرادها جميعها إلى كتابات مستقلة؛ ممّا يجعل الاكتفاء بإيراد الفريتين البارزتين الآتيتين أمراً ملائماً؛ فيفي بالعرض (وهو التّعريفُ على موقف المستشرقين من القرآن الكريم)، ويناسب الوقت المتاح :-

الفريّة الأولى

القرآن كتاب ألفه محمد ممّا في التوراة والإنجيل

الفريّة الثانية

القرآن كتاب مفكك ذو أسلوب خال من الترتيب فاقد للسياق

الفريّة الأولى

القرآن كتاب ألفه محمد ممّا في التوراة والإنجيل

□ العرض:

■ طعن هذان المستشرقان (إجناز جولدزيهر) و (جوستاف لوبون) في مصدر القرآن الكريم؛ فزعموا أنّ كتاب الله كتابُ الرسول محمد ﷺ من جملة معارف وآراء دينية وُجِدَتْ قبله (في التوراة والإنجيل)، كان قد تيسّر له الحصول عليها واقتباسها بسبب اتصاله باليهود والنصارى. ■ فأنكروا بهذا الزعم حقيقة كون القرآن (كلامُ الله عزّ وجلّ، المنزل على رسوله محمد ﷺ ، بواسطة جبريل عليه السلام، في كتاب سماوي مستقل).

■ وتطابق موقفهما هذا من القرآن الكريم مع موقف الكافرين منه؛ وهو ما وَضَّحَهُ اللهُ سبحانه بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ، وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ .

■ فمن أقوال (جولد زيهر) بهذا الخصوص:

✓ قوله: “ فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها عميقاً ... ”

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية؛ فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيًا إلهياً” .

✓ وقوله أيضاً: “ إنَّ ما يُبَشِّرُ به محمد والمتعلِّق بالدار الآخرة ليس إلا مجموعة مواد استقاها بصراحة من الخارج [أي: من اليهودية والنصرانية] يقيناً ، وأقام عليها التبشير ، ولقد استفاد من تاريخ العهد القديم [أي: التوراة ووصايا أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا بعد الرسول (موسى) عليه السلام] ، وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ” .

■ ومن أقوال (جوستاف لوبون) بهذا الخصوص:

✓ قوله: ” وما جاء في القرآن من نص على خلق السماوات والأرض في ستة أيام وخلق آدم والجنة وهبوط آدم منها، ويوم الحساب مقتبس من التوراة ” .

✓ وقوله أيضاً: ” إذا أرجعنا القرآن إلى عقائده الرئيسية أمكننا عدّ الإسلام صورة مبسّطة عن النصرانية ” .

□ الرد:

- ردّ صاحب الكتاب المقرّر على هذه الفرية؛ فقال: ” الأمر الذي يجب أن يُعَلَّم أن القرآن الكريم تحدى العرب والعجم والانس والجن أن يأتوا بمثله سوراً أو آيات من القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ .
- والقرآن الكريم قد احتوى من المعارف والأنظمة وقصص الغيب ما لا نجده في الكتب التي سبقته...
- وأما عن القربى الوشيحة بالتوراة والإنجيل؛ فإنّ القرآن الكريم والتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى كانت وحيًا من الله.
- وتتفق هذه الكتب السماوية في الأصول العامة؛ فهي تؤمن بالله وبالنبوة وباليوم الآخر وبالبعث والحساب والجنة والنار ... إلخ، قبل أن يحل تحريف في التوراة والإنجيل ” .
- والدارس المتفحص لا يجد في القرآن الكريم آية ملامح يهودية؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر: ليس فيه تفضيل لشعب على شعب - كما قال بنو إسرائيل بأنهم (شعب الله المختار) - ، وإنما فيه مساواة بين الخلق جميعاً؛ مصداقاً لقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَاقُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

➤ كما إنَّ الدارس المتفحص لا يجد في القرآن الكريم تأثيراً للنصرانية؛ إذ لو كان لذلك التأثير وجودٌ، لألَّه المسلمون محمداً ﷺ مثلما ألَّه النصارى عيسى عليه السلام، ولكن هذا لم يحصل أبداً، فلم يرفع القرآن محمداً ﷺ فوق عالم البشر بتاتاً، وإنما جعله في أرقى مقامات العبد، وهو مقام العبودية لله؛ فقال الله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

➤ إنَّ الرسول ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يثبت له صلة باليهود أو النصارى في مكة قبل البعثة؛ فكيف يتأتى له الأخذ عنهم!

فقد ورد في القرآن الكريم الرَّد على هذه المزاعم، حين زعم كفار قريش أنَّ الرسول ﷺ كان يعلمه غلام نصراني [أو راهب نصراني اسمه بحيرى أو جرجيس أو سرجيوس]؛ وهو قوله سبحانه: (وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)؛ فكيف يمكن للأعجمي أو الرومي أو الفارسي أو اليهودي أو النصراني أن يعلم العربي، ويأتيه بقرآن عربي مبين عجز العرب عن الإتيان بمثله !! .

➤ إنَّ هذه الافتراءات لشيء عجاب، لا تصدر عن شخص يحترم عقله وعلمه وأبحاثه، لكنَّ الحقد يعمي الحاقد عن الحقيقة .

الفريّة الثانية

القرآن كتاب مفكك ذو أسلوب خال من الترتيب فاقد للسياق

□ العرض:

طعن المستشرق (جوستاف لوبون) في إعجاز القرآن الكريم؛ فزعم أنه كتاب مفكك ذو أسلوب خال من الترتيب فاقد للسياق؛ وعلل حصول ذلك بأنَّ القرآن قد كتب تبعاً لمقتضيات الزمن بالحقيقة؛ متجاهلاً بهذا حكمة نزوله منجماً (تبعاً للوقائع والأحداث).

ومن أقواله بهذا الخصوص:

✓ قوله في كتابه: حضارة العرب، وتحت عنوان (خلاصة القرآن):

”القرآن هو كتاب المسلمين المقدس، ودستورهم الديني والمدني والسياسي الناظم لسيرهم.

وهذا الكتاب المقدس قليل الارتباط [أي: مفكك] ...

وأسلوب هذا الكتاب - وإن كان جديراً بالذكر أحياناً - خال من الترتيب، فاقد السياق كثيراً.

ويسهل تفسير هذا عند النظر في كيفية تأليفه؛ فقد كتب تبعاً لمقتضيات الزمن بالحقيقة، فإذا ما اعترضت محمداً معضلة أتاه جبريل بوحى جديد حلاً لها، ودون ذلك في القرآن ”.

✓ وقوله أيضاً (في كتابه المذكور نفسه): ” ويقال إن محمداً كان قليل التعلم - ونرجح ذلك - وإلا لوجدت في تأليف القرآن ترتيباً أكثر مما فيه ”.

□ الرد:

= فيما يتعلق بالرد على طعن (لوبون) في إعجاز القرآن الكريم:

➤ يقول المفكر الإسلامي أحمد غراب - بعد إيراده تلك الطعون -: ” والأعجب من هذه الافتراءات الساقطة، والأدلى على سقوطها، أنها تأتي من رجل لم يُعرف عنه أنه أجاد لغة القرآن، فضلاً عن أن يفهم إعجازه ”.

➤ ثم إن عنصر الإعجاز لا يفارق القرآن الكريم أبداً؛ فالقرآن معجزة واضحة في صياغته، وهذه حقيقة فهمتها الجزيرة العربية ومن ورائها الأدباء العرب في كل مكان وزمان.

➤ وقد جاء القرآن الكريم على امتداده وطوله متناسباً في الفصاحة؛ على ما وصفه الله سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

= وفيما يتعلق بالرد على تجاهل (لوبون) لحكمة نزول القرآن الكريم منجماً:-

يقول صاحب الكتاب المقرّر: “

➤ نزل القرآن مفزقاً على النبي ﷺ في بضع وعشرين سنة، وكان ينزل وفق الحوادث والأسئلة التي ترد، وقد ينزل القرآن في غير ذلك مراعيًا إصلاح النفس الإنسانية وفق منهج رباني خاص.

➤ وإن وراء نزول القرآن مفزقاً حكماً وأسراراً؛ ذكر بعضها الله سبحانه في كتابه؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ، وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾؛ فهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن الآيات كانت تنزل تسلياً وتثبيتاً للرسول ﷺ ، بدخض مفتريات المشركين وأهل الكتاب مما يتقولونه ويتخرصونه.

➤ وقال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾؛ فتدل هذه الآية على حكمة التدرج في قراءة القرآن الكريم وفهمه، فقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يحفظون الخمس والعشر من الآيات مع العمل بها، بعد فهمها فهماً كاملاً.

➤ والحكمة التي تتجلى في هذا التنزيل، ولها أثرها في تربية الأفراد والجماعات وأخذ النفوس بما يلائمها ولا يخرج عن طاقتها المحدودة هو (التدرج في التشريع) ، إذ بهذا التدرج أفلعت النفوس عن كثير من المساوي الاجتماعية التي لم يستطع أي قانون أن يلغيها أو يحد منها، وأصدق مثل على ذلك أن الإسلام قد حرّم الخمر على مراحل... ولو أردنا أن نستقصي الحكمة في ذلك لطل بنا النظر ... فإن تحت كل كلمة في القرآن سرّاً يبهر الألباب...

فإن طبيعة الإسلام كخاتم للأديان، تقضي بأن يهيهء الجماعة التي تستطيع أن تحمل رسالته بعد رسول الله ﷺ وإلى أن تقوم الساعة؛ لأن رسالة الإسلام إنما هي رسالة عامّة للبشرية جميعاً، ورسول الله ﷺ إنما هو رسول للناس كافة؛ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ حتى تستنير البشرية بهذا الدين، الذي جعله الله كاملاً في كل شيء، يلبي حاجات البشرية فيما يصلحها؛ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ .

هذا مقتطف من الرد على هاتين الفريتين؛ وإلا فالحديث في هذا المجال متسع، ولكن الوقت المتاح ضيق، وكتب العلماء الغيورين على دينهم ممتلئة بالرد على مثل هذه الفريات.

المحاضرة العاشرة

المستشرقون والسنة النبوية - الجزء الأول

أولاً

تعريف السنة النبوية

ثانياً

محطات المنهج العدائي

لدى المستشرقين المتعصبين في دراستهم للسنة النبوية

أولاً

تعريف السنة النبوية

□ تعريفها (لغة):

■ هي الطريقة والعادة؛ حسنة كانت أم سيئة.

✓ وقد جاءت بهذا المعنى في قول الله سبحانه: **سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ**

رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا.

✓ وجاءت به أيضاً في الأحاديث النبوية الشريفة؛ كما في قول الرسول :

"مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مَنْ غَيْرِ

أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا

وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ"

[صحيح مسلم]

□ تعريفها (شرعاً):

تتباين تعريفات العلماء للسنة النبوية؛ حسب نوع العلم الشرعي الذي تستعمل

فيه، وذلك على النحو الآتي: -

1. السنة عند المحدثين (علماء الحديث): هي ما أثر عن النبي عليه الصلاة

والسلام من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية.

✓ فالقول: هو الكلام الذي نطقه النبي صلى الله عليه وسلم وتناقله الناس بعد

ذلك؛ مثل حديث: "إنما الأعمال بالنيات".

والفعل: هو ما كان يقوم به النبي صلى الله عليه وسلم من سلوك وتصرف؛ مثل

كيفية صلاته، وصيامه، وحجه، كقوله صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما

رأيتهموني أصلي"، وقوله "خذوا عني مناسككم".

✓ والتقرير: هو ما أقره النبي عليه الصلاة والسلام من أفعال الصحابة بسكوته أو بإظهار رضاه له؛ كإقراره عليه الصلاة والسلام لمن تيمم لعدم وجود الماء ثم وجده بعد الانتهاء من الصلاة ولم يعد صلاته.

✓ والصفة: وهي إمَّا خُلُقِيَّة؛ كطول النبي عليه الصلاة والسلام ومشيه ولونه وشعره .. إلخ، أو خُلُقِيَّة كشجاعة النبي عليه الصلاة والسلام وكرمه وحلمه وصفحه وغيرها.

٢. السنة عند الأصوليين (علماء أصول الفقه)؛ هي: ما نقل عن النبي صلى الله

عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، ممَّا يصلح أن يكون دليلاً شرعياً

٣. السنة عند الفقهاء؛ هي: كل ما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن من باب الفرض والواجب، أو بعبارة أخرى؛ هي: ما يثاب المسلم على فعله ولا يعاقب على تركه.

٤) السنة عند العُقديين (علماء العقيدة)؛ هي: ما يقابل البدعة (فتشمل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم : اعتقاداً، وقولاً، وعملاً). أو هي: كل ما دل عليه الدليل الشرعي؛ سواء كان هذا الدليل من القرآن الكريم أو من السنة النبوية الشريفة أو من قواعد الشريعة.

ومنه؛ قول النبي عليه الصلاة والسلام : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور فإنَّ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة".

□ تعريف الحديث (شرعاً):

هو: علم يعرف به أقوال الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وأفعاله وأحواله.

أو هو: كل ما أضيف إلى النبي محمد

ثانياً

محطات المنهج العدائي

لدى المستشرقين المتعصبين في دراستهم للسنة النبوية

■ أدرك المستشرقون الموقع المتقدم الذي تتبوأه السنة النبوية في الدين الإسلامي، والمنزلة العالية الرفيعة التي تحتلها في قلوب المسلمين؛ فعمدوا إلى الطعن في حجيتها، والتشكيك في ثبوتها، وإثارة الشبهات حولها، وإلباسها فريعات من نسج خيالهم المُفرط في التعصب؛ وذلك في سياق محاربتهم للإسلام، وسعيهم الحثيث إلى تدميره والقضاء عليه؛ من خلال القضاء على مصدره الثاني، مثلما سعوا جاهدين إلى القضاء على مصدره الأول (القرآن الكريم).

■ وقد أكَّد هذا التوجه لديهم كثيرون من متعصبيهم؛ وعلى رأسهم المستشرق جب (ت ١٩٧١م)؛ الذي يقول بهذا الخصوص: " إنَّ الإسلام مبني على

الأحاديث أكثر ممّا هو مبني على القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يَبْقَ من الإسلام شيء، وصار شبهة صبيرة طومسون ”

[وطومسون هذا رجل أمريكي جاء إلى لبنان، فقدمت له صبيرة، فحاول تنقيتها من البذر، فلما نقّاهها من كل بذورها لم يبق في يده شيء منها].

- بيد إنَّ المستشرقين القدامى لم يفرّدوا السنة النبوية بدراسات مستقلة؛ وإنّما جاءت دراستهم لها ضمن دراستهم للإسلام عموماً، وأمّا تركيزهم الحقيقي فكان منصباً على دراسة القرآن الكريم، والعقيدة، والسيرة، والتاريخ.
- واستمر الأمر على هذا المنوال إلى نهاية (القرن السابع عشر الميلادي) تقريباً، ثمّ تغيّر؛ وذلك حينما أقدم المستشرق الفرنسي المدعو هربلو (ت: ١٦٩٥م) - وهو صاحب المكتبة الشرقية التي هي دائرة معارف عن الشرق، نشرت عام ١٧٣٨م - على أفراد السنة النبوية بدراسة خاصّة بها وحدها؛ جعلها في بحث مستقل، وتحت عنوان: (حديث عن أشياء قالها الرسول الزائف وقد نقل من فم إلى فم ومن شخص إلى شخص آخر).

وقد حوى ذلك البحث مغالطات كثيرة، وفريات كبيرة؛ وخلاصة ذلك: -

✓ أنّه تضمّن الطعن في شخص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ باتهامه بالكذب، ووصفه بالألقاب المشينة، كما تضمّن أيضاً التشكيك في صحة رسالته، عليه الصلاة والسلام، والزعم بأنّه استقى الإسلام من التلمود ومن اليهود الذين أسلموا.

✓ أنّه تضمّن الطعن في الحديث النبوي الشريف، والتشكيك في صحته، ووصفه بأنّه مجرد خبر تاريخي غير موثوق، والزعم بأنّ الزهري هو أول من جمعه - مما يولد فجوة تاريخية بين مرحلة النطق بالأحاديث ومرحلة تدوينها - والزعم بأنّ جملة الأحاديث (المذكورة في: الكتب الستة، والموطأ، والدارمي، والدارقطني، والبيهقي) مأخوذة إلى حد كبير من التلمود.

- ومنذ (القرن الثامن عشر الميلادي) بدأ المستشرقون يخصصون للسنة النبوية حقلاً دراسياً مستقلاً من بين حقول الدراسات الاستشراقية المتعددة.
- وفي أواخر (القرن التاسع عشر الميلادي) أطل على العالم ثلاثة من أشهر المستشرقين المهتمين بدراسة تاريخ السنة النبوية في ذلك الوقت - وهم: سبرنجر (ت ١٨٩٣م)، وميورت (ت ١٩٠٥م)، وكايتاني (١٩٢٦م) - معانين اعتقادهم الشك في صحة الأحاديث النبوية، وسعيهم للكشف عمّا أسموه: (المادة الأصلية للحديث).

- وقد أفاد من هؤلاء الثلاثة المستشرق المجري المتعصب جولدزيهر (ت: ١٩٢١م)؛ الذي أعلن - عقب دراساته التي أجراها في حقل السنة النبوية - توصله إلى فكرة تطور الأسانيد والمتون في الفكر الإسلامي. وزعم أنّ السنة النبوية والحديث النبوي كيانان مختلفان وليسا بمعنى واحد؛ فالسنة - عنده - هي: العادات المأثورة القديمة الموروثة لدى المسلمين، وأمّا الحديث النبوي فهو - عنده - الشكل الذي وصلت به تلك السنة إلى الأجيال.

■ وقد أدى جولد زيهر دوراً بالغ الأهمية في التأثير على سير الدراسات الاستشراقية في حقل السنة النبوية؛ بل لقد صارت نتائج دراساته للسنة النبوية - بما اشتملت عليه من فرييات وأكاذيب - دستوراً للمستشرقين الذين أتوا بعده؛ حيث لم تُنقَد آراؤه إلا من قِبَل قلة منهم [مثل: المستشرق هوروفيتس (ت ١٩٣١م)، والمستشرق فيوك (ت ١٩٣٩م)]، وأمَّا الأكثرية الساحقة منهم [وعلى رأسهم: المستشرق فنسك (ت ١٩٣٩م)، والمستشرق نيكولسون (ت: ١٩٤٥م)، والمستشرق جب (ت ١٩٧١م)] فقد أيّده ودعموا آراءه وفريياته على السنة النبوية المطهرة.

■ ثم جاء المستشرق الألماني جوزيف شاخت (ت: ١٩٦٩م) - وهو من أبرز المستشرقين الذين هاجموا السنة النبوية - فطعن في أسانيد الأحاديث النبوية، وزعم أنّ الجزء الأكبر منها مُختلق من قِبَل الفقهاء ورجال الفرق الإسلامية وهكذا؛ لطلما تعرضت السنة النبوية عبر العصور لمطاعن المستشرقين وفرياتهم الكثيرة عليها ، وقد تركّز ذلك في الجوانب الآتية: -

➤ **الجانب الأول:** شخصية الرسول محمد

➤ **الجانب الثاني:** رسالة الرسول محمد

➤ **الجانب الثالث:** متن الحديث النبوي؛ حيث شكك المستشرقون في صحته،

وبرّروا ذلك الشك بما يأتي - وهذا على سبيل المثال لا الحصر - :-

١. ما زعموه من أنّ الأحاديث النبوية لم تُدَوَّن في عهد الرسول ، وإنّما نقلت مشافهة؛ ممّا يُضعف - برأيهم - الثقة في صحتها.

٢. ما زعموه من تغلغل الوضع في الأحاديث النبوية.

٣. ما زعموه من قيام فقهاء الأمة الإسلامية بتلفيق الأحاديث النبوية لدعم آرائهم الفقهية .

➤ **الجانب الرابع:** سند الحديث النبوي المشتغل على رواته؛ حيث شكك

المستشرقون في صحته، وبرّروا ذلك الشك بما يأتي - وهذا على سبيل

المثال لا الحصر - :-

١. ما زعموه من قيام الفقهاء ورجال الفرق الإسلامية باختلاق أسانيد قوية لأحاديث نبوية معينة تدعم آراءهم.

٢. ما ألصقوه ببعض الرواة الثقات من صفات مشينة؛ تورث الشك في مصداقيتهم.

■ وستأتي مناقشة بعض هذه الفرييات (بما يسمح به الوقت المتاح) في المحاضرات اللاحقة بإذن الله سبحانه.

المحاضرة الحادية عشرة

المستشرقون والسنة النبوية - الجزء الثاني

أولاً

مُسَلَّمات تتعلق بالسنة النبوية

ثانياً

المستشرق كولسون وآراؤه في السنة النبوية

أولاً

مُسَلَّمات تتعلق بالسنة النبوية

□ السنة النبوية المطهرة:

○ هي وحي من الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾.

○ هي الوحي الثاني، كما صح الحديث بذلك عن الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"، فالمراد بقوله: "ومثله معه" السنة النبوية.

○ وقد فسّرت الحكمة في قول الله سبحانه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ بالسنة؛ حيث قال الإمام الشافعي رحمه الله: "كل الحكمة في القرآن السنة"، وبهذا صرح عدد من الأئمة سواه.

○ وهي تقع في المرتبة الثانية لمصادر التشريع الإسلامي، بعد القرآن الكريم. لكنها في الوقت نفسه وحي مستقل بالبيان، له نفس مكانة القرآن الكريم من حيث وجوب الامتثال لما جاءت به؛ عملاً بقول الله سبحانه: ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾، وقوله سبحانه: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا ألفين أحذكم قاعداً على أريكته؛ يأتيه الأمر من أمري، يقول: ما وجدنا في كتاب الله أخذناه".

○ وحالها مع القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

١. أن تكون موافقة للقرآن الكريم من كل وجه.

٢. أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن الكريم وتفسيراً له.

أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن الكريم عن إجابته، أو مُحَرِّمة لِماسكت عن تحريمه.

وهي لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة؛ فلا تعارض القرآن الكريم بوجه ما.

وما كان منها زائداً على القرآن الكريم فهو تشريع مبتدأ من النبي صلى الله عليه وسلم تجب

طاعته فيه، ولا تحل معصيته. وليس هذا تقديماً لها على كتاب الله سبحانه،

بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

○ الناظر في حال الأمة المحمدية يعلم علم اليقين حفظها لسنة نبيها صلى الله

عليه وسلم ، وكمال عنايتها بها؛ ويمكن إيجاز ذلك فيما يأتي: -

١. أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم بتبليغ سنته؛ فقال:

" نَضَرَ اللهُ امرأ سمع مقالتي ، فبلغها مثل ما سمعها؛ فربَّ مبلغ أوعى من

سامع " ؛ فاستجابوا له وحرصوا على تبليغ سنته.

٢. حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التثبيت في قبول السنة؛ حتى إنَّ

بعضهم لم يقبل منها إلا ما قام عليه شاهداً عدل.

٣. حرص علماء الأمة في سائر عصورها على جمع السنة، والتثبيت في قبولها.

٤. حرص علماء الأمة في سائر عصورها على التثبيت بخصوص أحوال الرواة

ونقلة الحديث النبوي.

٥. دَوَّنَ علماء الأمة علم الجرح والتعديل؛ لتحصين السنة وحمايتها.

٦. وضع علماء الأمة شروطاً دقيقة لمن تقبل روايته، وردوا رواية من لم تتوفر

فيه تلك الشروط.

٧) أَلْف علماء الأمة مؤلفات كثيرة في الثقات وأخرى في الضعفاء؛ لمعرفة

أشخاص الإسناد وبالتالي معرفة درجة الحديث (صحة وضعفاً).

٨) تم تدوين تراجم الرواة، وبحث ما يتعلق بهم من: مبهمات الأسماء ومُخْتَلَفِهَا،

والكنى، والمقدّم والمؤخر، والأقران، وما إلى ذلك.

○ وبذا يُعْلَم: أَنَّ عناية علماء الأمة الأفاضل بالسنة النبوية المطهرة (سنداً ومنتأً) قد

بلغت القمة، وأنَّ اهتمامهم بها قد بلغ أعلى درجاته؛ وأنَّ ذلك كان من أسباب

حفظها، وتحصينها من سموم الحاقدين وإفك المقتربين، ووصولها إلينا نقيّةً

كما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

○ إنَّ هذا الذي تم ذكره بخصوص السنة النبوية المطهرة ، هو ممَّا عرفه

المسلمون من أمور دينهم، وتقبله المؤمنون الذين صفت قلوبهم، ولا عبرة

بمن تشوَّش فكره فشكك في ذلك؛ مستشرقاً كان أو متأثراً بالمستشرقين.

ثانياً

المستشرق كولسون وآراؤه في السنة النبوية

□ أولاً: ترجمته.

هو: نويل كولسون [N.Coulson] :-

✓ مستشرق إنجليزي معاصر.

✓ تتلمذ على المستشرق الألماني المشهور جوزيف شاخت (ت: ١٩٦٩م)، المتخصص في الفقه الإسلامي وتاريخه، وأصبح أستاذاً للقوانين الشرقية بجامعة لندن.

✓ يُعدُّ واحد من أبرز المستشرقين المعاصرين القلائل الذين عُنوا بدراسة الفقه الإسلامي؛ وكتبوا فيه .

✓ دَرَسَ الفقه الإسلامي بجامعة لندن، إلى جانب تدريسه للقانون المدني الإنجليزي بها.

✓ زار بعض أقطار العالم الإسلامي، وعمل أستاذاً زائراً بإحدى الجامعات النيجيرية.

✓ له عدَّة مؤلفات في الفقه الإسلامي؛ من أهمَّها:

١. كتاب: في تاريخ التشريع الإسلامي - تمت ترجمته من قبل محمد أحمد سراج - .

٢. كتاب: في الميراث.

✓ حاول تحديد العلاقة بين الجوانب النظرية (في الفقه الإسلامي) والجوانب العملية التطبيقية فيه، فأعدَّ دراسة بهذا الشأن؛ زعم بعدها أنَّ الشريعة الإسلامية ليست عملية ولا قابلة للتطبيق؛ وعزى ذلك إلى ارتباطها بالقرآن الكريم، معتبراً انقطاع الوحي بوفاة الرسول الكريم سبباً في جعلها ثابتة غير قابلة للتغيير وفقاً لمقتضيات الواقع.. وصرَّح في النهاية بأنَّ الإسلام دين مثالي ولكنه غير صالح للتطبيق في العصر الحاضر.

□ **ثانياً: مفهوم السنة النبوية عنده.**

السنة النبوية كما يفهمها كولسون: هي آراء فقهية متفق عليها بين علماء مذهب فقهي ما؛ ولذلك قال (في كتابه: في تاريخ التشريع الإسلامي): ” إنَّ السنة في القرن الثاني الهجري كانت تعني مجموع الآراء الفقهية المتفق عليها بين علماء مدرسة فقهية معينة - ويسميتها (سنة المدرسة) - فهي مجموع الآراء والأصول المتعارف عليها في كل مذهب والذي يعمل رجال المذهب على عرضها ونصرتها ”.

دحض هذا المفهوم:

✓ إنَّ فهم كولسون هذا للسنة النبوية فهم مخالف لواقع الأمر، وهو فهم مغرض؛ القصد منه تضليل أبناء الأمة الإسلامية، وتشويش فكرهم، وتشكيكهم في المصدر الثاني للتشريع الإسلامي!

✓ ويكفي في دحض هذا الفهم وإبطاله، الاطلاع على حقيقة مفهوم السنة والحديث وفقاً لما تعنيه في اصطلاحات العلماء المسلمين المعتمدين في هذا المجال؛ وقد سبق تفصيل ذلك وتوضيحه بما يكفي لكشف الحقيقة للعقل التائه وإزالة الغمّة عن الفهم القاصر أو المشوش. [يُنظر: المحاضرة العاشرة؛ الشرائح: ٤-٧].

□ **ثالثاً:** زعمه أنَّ الإمام الشافعي هو من جعل السنة المطهرة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وأنَّه تَبَّتْ ذلك في كتابه الأصولي (الرسالة).

وهو بهذا الخصوص؛ يقول (في كتابه: في تاريخ التشريع الإسلامي):
” إنَّ اعتراف الشافعي بالسنة مصدراً مكملاً للقرآن في التعرف على الإرادة
الإلهية هو أهم إسهام قدمه هذا الفقيه للتشريع الإسلامي..“

وتمثل السنة باعتبارها مسلك محمد صلى الله عليه وسلم الموحى إليه من الله
المصدر الثاني للفقهاء في منهج الشافعي ، وكانت تستند أساساً في المدارس
الباكرة إلى المرويات الخاصة بمدرسة معينة.

وقد تطلع الشافعي بإحلال مفهوم السنة النابعة من معين واحد محل الروايات
المتداولة في الأمصار - المختلفة فيما بينها باختلاف منشأها - إلى اقتلاع سبب
الخلاف بين المراكز الفقهية، وبث الوحدة في النظر التشريعي.

وباختصار؛ فإنَّ الشافعي يذهب إلى أنَّ هناك لوناً واحداً من المرويات، هو
الذي يصح أن يكون إسلامياً أصيلاً؛ وهو في هذا لم يكن يقدم فكرة جديدة من
كل جوانبها، فقد كان هناك اتجاه متزايد لدى المدارس الفقهية الباكراً عموماً
إلى ادعاء وجود أصل لمروياتها في مسلك النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك
بإرجاع نظرها الفقهي إليه.

وقد استغل الشافعي هذا الاتجاه نفسه ليدعمه أصولياً ببيان كون السنة وحياً إلهياً،
وليقرر فيما يتعلق بالشكل: أنَّ سنة النبي صلى الله عليه وسلم لا تثبت بوجه
صحيح، ولا تتحقق إلا بحديث مروي عنه ”.

دحض هذا الزعم:

✓ إنَّ زعم كولسون هذا يدل على جهله بإجماع أئمة الفقه وعلماء الأصول،
واتفاقهم على أنَّ: السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، أو إنكاره
لذلك الإجماع!

✓ وقد أورد المفكر الإسلامي (محمد سليم العوا) زعم كولسون هذا، ثم عَقَّب
عليه بقوله - فيما نقله عنه العاني (في كتابه: الاستشراق والدراسات
الإسلامية - :-

✓ ” إنَّ من الغني عن البيان أنَّ أحداً لا ينكر فضل الشافعي على علم أصول
الفقه، ولكن الفضل لا يزيد على كونه (عبقرياً الصياغة والتنظيم).

✓ فالشافعي لم يخترع أصولاً من عنده، ولم يرفع دليلاً شرعياً إلى مرتبة الحجية
لم تكن له قبله، وإنما جَمَعَ بما أُتيح له من: سعة المعرفة، ودقة التتبع، وتنوع
الثقافة الفقهية الناتجة عن لقاء فقهاء الأمصار والسماع منهم ومناظرتهم،
وبظروف تكوينه العلمي والفكري بوجه عام؛ جَمَعَ (النظرية الإسلامية في
استنباط الأحكام الشرعية) في سياق واحد؛ وعرضها عرضاً جميلاً قوياً
مقنعاً؛ جعل العلماء بعده ينسبون إليه الفضل في وضع علم الأصول؛
لا لأنه موجد من العدم أو مخترعه من الوهم، وإنما باعتباره أول من نسَّقه
ورتبّه وبوّبه.

✓ والمُغالاة في دور الشافعي عند كولسون – ومن قبله عند جولد زيهر، وشاخت – يترتب عليها إنكار وجود وحدة أصول للاستنباط مُسلّمة بين الفقهاء قبله، ولو صحَّ هذا (وهذا غير صحيح)؛ لترتب عليه استحالة تفاهم هؤلاء الفقهاء وتناظرهم وتبادلهم الرأي في أكثر من موطن. وكل هذا كان واقعاً، وهو مدوّن في كتب الفقه والتفسير والتاريخ وغيرها، وهو يشهدُ شهادةً قاطعة أن هؤلاء الفقهاء عرفوا الأصول واجتهدوا على أساسها، واختلفوا في فهم نصوصها أو أساليب أعمالها، لكنهم لم يغفلوا عنها، ولم يجهلوا وجودها.”

✓ إذن؛ زعم كولسون هذا باطل ولا أساس له من الصحة؛ وإنما هو محاولة منه مغرضة؛ للإساءة إلى السنة النبوية، وتشويش فهم المسلمين لها، وتشكيكهم بنقائنها وسلامتها من التحريف.

المحاضرة الثانية عشرة

عنوان المحاضرة الثانية عشرة وعناصرها

المستشرقون والسنة النبوية - الجزء الثالث

أولاً : ترجمة المستشرق (توينبي)

ثانياً : ترجمة المستشرق (جب)

ثالثاً : شبهة (توينبي) وفريضة (جب)؛ بخصوص السنة النبوية

أولاً

ترجمة المستشرق (توينبي)

هو: آرنولد جوزيف توينبي (١٨٨٩-١٩٧٥م) :-

✓ مستشرق، ومؤرخ إنجليزي مشهور.

✓ درس بجامعة أكسفورد، وبمدرسة الآثار البريطانية بأثينا في اليونان.

✓ عمل بجامعة لندن، ثم أصبح أستاذا للتاريخ العالمي بها (عام:

١٩٢٥م).

✓ عُرفَ بجهوده الكبيرة في حقل (علم الاجتماع) و(علم التاريخ)،

حيث كتب فيهما عدداً من الكتب؛ فمن أهمها: -

١ . كتاب: القومية والحرب.

٢ . كتاب: العالم والغرب.

٣ . كتاب: محاكمة الحضارة.

٤ . كتاب: دراسة التاريخ.

✓ وكتابه الأخير هذا (دراسة التاريخ) هو أشهر كتبه وأضخمها، ويقع

في (١٢) مجلداً - تم طبعها ما بين عامي (١٩٣٤م) و (١٩٦١م) -

تحدث فيها عن الحضارات؛ فقَسَمَ التاريخ العالمي إلى (٢٦)

حضارة، ثم تقصّى نشوء تلك الحضارات وانحدارها وسقوطها،

وأعلن أنّ بقاء الحضارة الغربية متوقف على إعادة بعث الروح

النصرانية. وقد اختصر عمله الضخم هذا في مجلدين بيعت نُسخُهُمَا

بأعداد هائلة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً

ترجمة المستشرق (جب)

هو: هاملتون جب [Hamilton Gibb] :- (١٨٩٥-١٩٧١م) :-

✓ مستشرق إنجليزي.

✓ دَرَسَ اللغات السَّامِيَّةَ بجامعة أدنبرة.

✓ عمل محاضراً في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن (عام: ١٩٢١م) ، ثم أصبح أستاذاً للغة العربية بها، ثم انتخب لشغل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد.

✓ انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية (عام: ١٩٥٥م)؛ فعمل أستاذاً للغة العربية بجامعة هارفارد، ثم شغل منصب مدير (مركز هارفارد لدراسات الشرق الأوسط) بالجامعة نفسها، ثم تقاعد من العمل بتلك الجامعة (عام: ١٩٦٤م)، وعاد إلى أكسفورد.

✓ تنوعت اهتماماته البحثية؛ لتشمل المجالات الثلاثة الآتية: -
١. مجال (تاريخ الأدب العربي)؛ ومن نتاجه فيه: -

كُتِب: الأدب العربي - وهو كُتِب صغير سطحي -.

٢. مجال (التاريخ الإسلامي)؛ ومن نتاجه فيه: -

أ- كتاب: فتوح العرب في آسيا الوسطى.

ب- كتاب: تفسير للتاريخ الإسلامي.

ت- كتاب: الأهمية الاجتماعية للشعبوية.

٣. مجال (الدين الإسلامي)؛ ومن نتاجه فيه: -

أ- كتاب: الْمُحَمَّدِيَّة - وقد أعاد نشره بعنوان: الإسلام -.

ب- كتاب: الاتجاهات الحديثة في الإسلام

✓ عمل (في مرحلة من حياته) لدى كل من الحكومة البريطانية والحكومة الأمريكية بصفة رسمية؛ كمستشار لهما في تخطيط سياستيهما الموالية لإسرائيل والمعادية للعرب والمسلمين.

✓ قال فيه عبد الرحمن بدوي (في: موسوعة المستشرقين): "وقد نال في حياته كثيراً من ألقاب التشريف التي لا يستحقها علمياً. والواقع أن (هاملتون جب) كانت شهرته فوق قيمته العلمية، وإنتاجه أدنى كثيراً من الشهرة التي حظي بها؛ لأسباب كلها بعيدة عن العلم ... طابع كل ما كتبه (جب) العموم والسطحية".

✓ أصيب (عام: ١٩٦٤م) بمرض (الفالج) إصابة بالغة؛ ظلت آثارها بادية عليه حتى وفاته - وقيل: إنه شفي منها! وعاد لمزاولة عمله، إلى أن توفي بأكسفورد -.

ثالثاً

شُبُهَةٌ (توينبي) وِفْرِيَّةُ (جِب)؛ بخصوص السنة النبوية

□ العرض:

○ طعن كل من المستشرق (توينبي) و المستشرق (جِب) في السنة النبوية؛ فأثار الأول شبهة حولها، وألبسها الثاني فِرْيَةَ نسجها خياله المتعصب.

○ أَمَّا شُبُهَةٌ توينبي؛ فتتلخص في: زعمه اشتمال السنة النبوية (المعمول بها من قبل العلماء المسلمين) على أحاديث موضوعة.

حيث ادّعى توينبي - وفقاً لما ذكره العاني (في كتابه: الاستشراق والدراسات الإسلامية) ونسبه إليه - استعانة علماء المسلمين بأحاديث موضوعة (ضمن ما استعانوا به من أحاديث نبوية)؛ في إطار سعيهم الجاد لإضفاء الشرعية على تصرفات الخلفاء والحكام المسلمين في شتى العصور.

○ وأما فِرْيَةٌ جب؛ فتتلخص في: زعمه قيام الإسلام على الأحاديث الكاذبة!

وقد صرّح جب بذلك، في معرض افتراءه على الإسلام عموماً والسنة النبوية المطهرة خصوصاً؛ فقال - وفقاً لما نقله عنه أنور زناتي (وأورده في كتابه: معجم افتراءات الغرب على الإسلام) - : " إنّ الإسلام مبني على الأحاديث أكثر ممّا هو مبني على القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبقَ من الإسلام شيء، وصار شَبَهَ صبيرة طومسون " [وطومسون هذا رجل أمريكي جاء إلى لبنان، فقدمت له صبيرة، فحاول تنقيتها من البذر، فلما نقّأها من كل بذورها لم يبق في يده شيء منها].

□ الرّد:

○ إنّ الدارس المُتفحّص لشبهة (توينبي) وفرية (جب) يتبين له أنّهما من جنس واحد، بل وجهان لعملة واحدة؛ فالأحاديث الموضوعة هي الأحاديث الكاذبة. وإذا كان (توينبي) يزعم حدوث الوضع في الأحاديث النبوية، فإنّ (جب) يزعم حدوثه كذلك وبكثرة؛ فزعمهما إذن واحد.

○ إنّ زعمهما هذا لا يستند إلى دليل علمي أو تاريخي، وإنّما هو سرد مغلوط ومشبوه؛ بل هو لغط وافتراء ينسجم مع (المنهج العدائي لدى المستشرقين المتعصبين في دراستهم للسنة النبوية)، الذي يأتي في سياق محاربتهم للإسلام، وسعيهم الحثيث إلى القضاء عليه بالقضاء على مصدره الثاني (السنة النبوية)؛ من خلال التشكيك فيها. وإنّ التاريخ والشواهد الكثيرة والأدلة العلمية الواضحة التي لا شبهة فيها ولا غبار عليها؛ لطالما دفعت

هذا اللغط والافتراء، وأزهقت هذا التشكيك الباطل. ومن هنا كان لا بد من ذكر بعض الأمور وتوضيحها؛ فمنها: -

أولاً: ذكر الأسباب الحقيقية لوضع الأحاديث.

ثانياً: ذكر بعض القواعد التي وضعها علماء الحديث لحماية السنة من تسرب الوضع إليها.

ثالثاً: ذكر بعض القواعد التي وضعها علماء الحديث لنقد متن الحديث وقبوله أو رده.

وفيما يأتي إيجاز هذه الأمور: -

أولاً: ذكر الأسباب الحقيقية لوضع الأحاديث؛ وهي بإيجاز: -

١ - **الخلافات السياسية:** وذلك من أجل أن يثبت كل فريق أحقيته بالخلافة وأفضليته بالاتباع. وممن فعل هذا -على سبيل المثال لا الحصر- (الرافضة)، وبعض متعصبي الأمويين؛ فقد كان (الرافضة) من أكثر الذين وضعوا الأحاديث؛ حتى سئل الإمام مالك عنهم، فقال: "لا تكلموهم، ولا ترووا عنهم؛ فإنهم يكذبون"، وقال الشافعي: "ما رأيت في أهل الأهواء قوماً أشهد بالزور من الرافضة". وقال عنهم الخليلي (في الإرشاد): "وضعت الرافضة في فضائل علي وأهل بيته ثلاثمائة ألف حديث"، ومن أشهر الأحاديث الموضوعة حديث الوصية في غدير خم، والذي يروي فيه الرافضة أن الرسول أخذ بيد علي بعد رجوعه من حجة الوداع وقال للصحابة: "هذا وصيي وأخي والخليفة من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا" وقد كذب أهل السنة هذا الحديث وعدّوه في الموضوعات.

وبالمقابل ظهرت بعض الأحاديث الموضوعة من بعض المتعصبين من الأمويين مثل: حديث "الأمناء ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية" وحديث "أنت مني يا معاوية وأنا منك".

٢. **الزندقة:** وقد ظهرت بعد أن فتحت البلاد وتوسعت سيطرة الخلافة الإسلامية، وصارت للإسلام شوكة ومنعة؛ حيث لم يستطع أعداؤه النيل منه علناً، فاتخذوا سبيلاً آخر هو الدخول فيه وتمزيق صفه من الداخل؛ فتستر هؤلاء بالتصوف والزهد والتشيع وغيرها، ووضعوا آلاف الأحاديث للطعن في الدين، ومن هذه الأحاديث الموضوعة: حديث "ينزل ربنا عشية عرفة على جمل أورك يصفح الركبان ويعانق المشاة" وحديث "خلق الله الملائكة من شعر ذراعيه وصدرة". وقد لاحق بعض الخلفاء العباسيين

هؤلاء الزنادقة وقتلوهم وحبسوهم، حتى ضعفت شوكتهم وتم القضاء عليهم نهائياً.

٣. **القصص والوعظ:** حيث ظهرت حركة للقصص الذين يجتمع حولهم الناس ليسمعوا رواياتهم وقصصهم ووعظهم، فكان هؤلاء لا يتورعون عن الكذب ووضع الأحاديث في سبيل جذب الناس إليهم، ليكسبوا بذلك جاهًا ومكانة؛ ومن هذه الأحاديث: حديث "من قال لا إله إلا الله خلق الله له من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان".

٤. **الخلافات الفقهية والمذهبية:** وهذه الخلافات أدت إلى أن تتعصب كل جماعة لمذهبهم وإمامهم، فوضعوا الأحاديث التي تساندهم، ومن ذلك القول المكذوب: "من رفع يديه في الصلاة فلا صلاة له".

٥. **الجهل بالدين مع الرغبة في الخير:** حيث قامت طائفة من العباد والزهاد بوضع الأحاديث ليرجعوا الناس إلى دين الله وكتابه، ظانين أن ذلك من العبادات المستحبة والأعمال الفاضلة، وقالوا إننا

لم نكذب على رسول الله وإنما نكذب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

٦. **التقرب إلى الأمراء والملوك:** وذلك بوضع الأحاديث التي تناسب أوضاعهم وأحوالهم، وأهواءهم ورغباتهم، ومن ذلك ما فعله غياث بن إبراهيم الذي دخل على المهدي وهو يلعب بالحمام فروى له الحديث المشهور "لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر" وزاد غياث "أو جناح" إرضاء للمهدي الذي منحه عشرة آلاف درهم، ثم قال بعد أن ولى: "أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بذيح الحمام".

ثانياً: نذكرُ بعض القواعد التي وضعها علماء الحديث لحماية السنة من تسرب الوضع إليها:

إن علماء الأمة الأفاضل لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الظاهرة الخطيرة التي كانت تهدد المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، بل بذلوا جهوداً عظيمة لتنقية السنة من الشوائب والزيادات والأكاذيب، وتحصينها من سموم الحاقدين وإفك المفترين؛ فوضعوا لهم قواعد وأسساً ينهجون عليها، وهي كثيرة؛ فمنها: -

١. **إسناد الحديث:** لم تظهر متابعة الإسناد إلا بعد ظهور الفتنة وانقسام المسلمين، وبعد ظهور اليهودي (عبد الله بن سبأ) الذي دعا إلى تأليه علي - رضي الله عنه -؛ فحينها لم يأخذ الصحابة الذين عاشوا إلى ذلك الوقت وكذلك التابعون من الأحاديث إلا ما عرف سنده وهذه كانت الخطوة الأولى لتصفية الحديث من غيره، حتى قال ابن

المبارك: "الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"

٢. **التأكد والتوثيق من الأحاديث وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين وأئمة الحديث؛** فقد صار هؤلاء مرجعاً للناس عند سماعهم حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أقروه أخذوا به وإن لم يقروه ضربوا به عرض الحائط. وقد سخر كثير من الناس أنفسهم لخدمة الحديث وذلك بالسفر من بلد إلى آخر للتحقق من صحة الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بين هؤلاء الإمام البخاري ومسلم وغيرهما - رضي الله عنهم جميعاً -؛ لما قاموا به من عمل جليل سيبقى نخرًا للأمة إلى يوم الدين.

٣. **نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق أو كذب؛** وهذا الأصل كان من أهم الأصول التي اتبعوها في تنقية الأحاديث، حيث لم يجرهم شيء في أن يقولوا عن الرواة ما فيهم من عيب أو كذب، وقد قيل ليحيى بن سعيد القطان: "أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟"

فقال: لأن يكون هؤلاء خصمي أحب إليّ من أن يكون خصمي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: لم لم تذب الكذب عن حديثي .

ثالثاً: ذُكِرَ بعض القواعد التي وضعها علماء الحديث لنقد متن الحديث وقبوله أو رده: -

لو قرأ من زعموا الوضع في الحديث النبوي ما قرَّره علماء الحديث من قواعد لنقد متن الحديث وقبوله أو رده؛ لَمَا وسعهم إلا الإقرار بسلامة الحديث من الوضع، ولكن هيهات للعدو الحاقده أن يقر بالحق الذي هو كالشمس في رابعة النهار! وهذه القواعد كثيرة - ذكرها علامة الحديث مصطفى السباعي؛ في كتابه: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي - ؛ فمنها: -

١. ألا يكون ركيك اللفظ، بحيث لا يقوله بليغ أو فصيح.
٢. ألا يكون مخالفاً لبدهيات العقول، بحيث لا يمكن تأويله.
٣. ألا يخالف القواعد العامة في الحكم والأخلاق.
٤. ألا يكون مخالفاً للحس والمشاهدة.
٥. ألا يخالف البدهي في الطب والحكمة.
٦. ألا يكون داعية إلى رذيلة تنبأ منها الشرائع.
٧. ألا يخالف المعقول في أصول العقيدة من صفات الله ورسوله.
٨. ألا يكون مخالفاً لسنة الله في الكون والإنسان.
٩. ألا يشتمل على سخافات يسان عنها العقلاء.
١٠. ألا يخالف القرآن أو محكم السنة أو المجمع عليه أو المعلوم من الدين بالضرورة، بحيث لا يحتمل التأويل.
١١. ألا يكون مخالفاً للحقائق التاريخية المعروفة عن عصر النبي .
١٢. ألا يوافق مذهب الراوي الداعية إلى مذهبه.
١٣. ألا يخبر عن أمر وقع بمشهد عظيم ثم ينفرد راو واحد بروايته.
١٤. ألا يكون ناشئاً عن باعث نفسي، حمل الراوي على روايته.
١٥. ألا يشتمل على إفراط في الثواب العظيم على الفعل الصغير، والمبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير" .

إذن؛ فإذا كان هناك من حاول الوضع في الأحاديث النبوية؛ فقال أقوالاً ونسبها - زوراً - إلى النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيق هدف رسمه لنفسه، أو لصالح مشروع تبناه، أو لتأييد فكر حمله، أو لأي سبب كان؛ فإنَّ هذا لا يعني حصول الوضع في الأحاديث النبوية المعمول بها شرعاً، ولا دخول الأحاديث الموضوعية إلى السنة النبوية المطهرة.

وفي هذا الإيجاز بيان كاف لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وكاف للذين اتخذوا من وضع الأحاديث مطية يمتطون بها على السنة كلها، ويشككون فيها من كل الجهات والأطراف، ولكنهم خابوا وخسروا، وذهبت جهودهم وأقويلهم مع رياح الحق التي أزهقتهم وأثبتت السنة الصحيحة.

المحاضرة الثالثة عشرة

المستشرقون والدراسات الفقهية، شاخت نموذجاً

عناصر المحاضرة :

أولاً : مزاعم شاخت حول الدراسات الفقهية وإسناد الحديث .

ثانياً : دحض مزاعم شاخت حول الدراسات الفقهية وإسناد الحديث .

ثالثاً : خلاصة المقال وزبدة القول .

مزاعم شاخت حول الدراسات الفقهية وإسناد الحديث

من هو شاخت ؟ ولد جوزيف شاخت في مدينة راتيبور الألمانية، في ١٥ مارس ١٩٠٢ -
١٩٦٩ ، تعلم اليونانية والفرنسية والإنجليزية، واللغات السامية، كما درس في مؤلفه
(أصول الشريعة المحمدية) كتابي " الموطأ " لمالك و " الأم " للشافعي ثم عمم نتائج
دراسته على كتب الحديث والفقه الأخرى، وتلخص مزاعمه فيما يلي :

أولاً : قال شاخت بنظرية تطور الأسانيد، وتلخص آرائه في زعمه اختلاق الجزء الأكبر من
الأسانيد، واعتقاده أن أقدم الأحاديث لا يرقى إلي ما قبل سنة ١٥٠هـ، وأن الأحاديث
اختلفها الفقهاء وأصحاب الفرق، وأن الشافعي هو الذي استحدث مبدأ حجية السنة،
وكان العمل قبله على السنة المذهبية، وقد كان أثره كبيراً على جيله من المستشرقين. ومن
مطاعنه طعنه في سند مالك عن نافع عن ابن عمر بأن نافعاً مات ومالك صغير، وهذا
خطأ، سنورد الرد عليه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

■ ويأتي بيان نظرية شاخت وقوله بتطور الإسناد في أن الأحاديث نسبت للنبي
صلى الله عليه وسلم تدريجياً، فهي قبل أن تنسب له كانت آراء للمذاهب الفقهية
السائدة ومنسوبة للتابعين، وفي المرحلة الثانية نسبت للصحابة، ثم نسبت للنبي
صلى الله عليه وسلم، ولهذا فهو يطلق على الإسناد بأنه الجزء الأكثر اعتباراً من
أجزاء الحديث، وأنه كلما كان الإسناد متصلاً وتاماً فإنه يعني أنه اخترع في مرحلة
متأخرة ويصل بذلك إلى نتيجة مفادها: أن كل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن لها وجود أصلاً، بل اخترعت ووضعت خلال منتصف القرن الثاني
الهجري/ الثامن الميلادي، فالأسانيد التي نراها مع الأحاديث إنما هي كلها

موضوعة ، فالحديث كان يرويه عدة رواة وأن هؤلاء الرواة في النهاية يلتقون عند راوٍ واحدٍ أخذوا عنه هذا الحديث في مرحلة من المراحل، وهذا الراوي الذي يلتقي عنده هؤلاء الرواة هو المسؤول عن وضع الحديث أو أن اسمه استخدم في وضع الحديث.

ثانيا : تبني شاخت في نظريته آراء سلفه جولدتسيهر ومارجوليوت حول مفهوم الحديث والسنة وتطورهما خلال القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري ، إلا أن شاخت زاد على ما ذكره فزعم: بأنه كانت عادة الجيلين من العلماء الذين سبقوا الشافعي أن ينسبوا الأحاديث إلى الصحابة والتابعين، ومن النادر أنهم كانوا ينسبونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، من كلامه قوله : "إن الأحاديث ليست هي السنة بل هي تدوين السنة بالوثائق".

ثالثا : يزعم شاخت أن إسناد الحديث اعتباطي يقول : "إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطي، ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي ووصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث، وكانت الأسانيد لا تجد أدنى اعتناء، وأي حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها في الإسناد".

وخلاصة القول : أن شبهة " شاخت " اعتمدت على القول بتطور الإسناد وتدرجه من آراء فقهية إلى أحاديث نبوية ، ومن هنا وجب الرد عليه من خلال الإسناد الذي بنى عليه شبهته ، وذلك ما سنورده في الصفحات التالية :

دحض مزاعم شاخت حول الدراسات الفقهية وإسناد الحديث

بالنسبة لشبهات شاخت . وغيره من المستشرقين . الذين زعموا تطور الأسانيد من خلال زعمه بأن السنة مجرد آراء فقهية فنقول:

سبق تفنيد الزعم بأن السنة مجموع آراء فقهية نسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبقى الرد على الطعن في الإسناد ، ويأتي فيما يأتي :

■ أولا : اهتم علماء الحديث بالأسانيد وكان اهتمامهم بها قبل كل شيء انطلاقا من قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) . فقد روى مسلم عن مجاهد قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله - صلى الله

عليه وسلم -، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه.

فقال: يا ابن عباس! ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا تسمع. فقال ابن عباس: "إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف" فكان لا يؤخذ الحديث من أحد إلا إذا كان ثقة، حتى اشتهر بين المحدثين أن السند للخبر كالنسب للمرء. والحديث الذي ليس له سند ليس بشيء. ومعروف عن ابن سيرين قوله: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وقول عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء

■ ثانياً : كان الإسناد علم بذاته من علوم الحديث اعتنى به علماء الأمة عناية مميزة؛ لأنه سند السنة التي هي المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، وقد تفردت الأمة الإسلامية بهذا العلم وهذه المنهجية في أخذ الأخبار والروايات بخلاف جميع أمم الأرض وأديانها الأخرى حيث اعتمدت على المشافهة والروايات التي اختلط فيها الحق بالباطل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"وعلم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وجعله سُلماً إلى الدراية فأهل الكتاب لا إسناد لهم يثرون به المنقولات. وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات. وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنة من أهل الإسلام والسنة، يفرقون به بين الصحيح والسقيم والمعوج والقويم. وغيرهم من أهل البدع والكفار إنما عندهم منقولات يثرونها بغير إسناد. وعليها من دينهم الاعتماد وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل ولا الحالي من العاطل."

• ثالثاً : فاقت جهود الصحابة وعلماء الأمة من بعدهم حدود الجهد لشدة اهتمامهم وعنايتهم بالحديث النبوي، فهذا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه يسافر من المدينة إلى مصر من أجل أن يتأكد من صحة حديث يحفظه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومنه ما ورد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه في حديث الستر على المؤمن، فعن عطاء ابن أبي رباح قال: خرج أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ولم يبق أحد سمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غيره وغير عقبة، فلما
قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد

الأنصاري (وهو أمير مصر) فأخبره فعجل عليه، فخرج إليه فعانقه، ثم قال له: ما جاء بك يا أبا
أيوب؟ فقال:

حديث سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يبق أحد سمعه من رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدلني
على منزل عقبة، فأخبر عقبة، فعجل فخرج إليه فعانقه، فقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟
فقال: حديث سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يبق أحد سمعه من رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال عقبة: نعم سمعت رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " من ستر مؤمناً في الدنيا على خزية، ستره الله يوم
القيامة" فقال له أبو أيوب صدقت. ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته، فركبها راجعاً إلى
المدينة .

ويقول سعيد بن المسيب أحد كبار التابعين: إنني كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالي في الحديث
الواحد .

• رابعا : وضع علماء الحديث للإسناد قواعد وأصول علمية دقيقة للوصول إلى
الأحاديث الصحيحة وترك غيرها من الضعيفة والموضوعة، وقسم هذا الإسناد إلى
أقسام من حيث القبول أو الرد ، فمن الأشياء التي وضعوها على سبيل المثال لا
الحصر للراوي، ما يلي:

١- صفة من تقبل روايته ومن ترد: وقد اشترطوا للراوي العدالة والضبط، يقول ابن
الصلاح: "أجمع جماهير أئمة الحديث والفقهاء على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون
عدلاً ضابطاً لما يروي. وتفصيله ، وأن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق
وخوارم المروءة، متيقظاً غير مغفل، حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطاً لكتابه

إن حدث من كتابه. وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل
المعاني".

إذن اشترطوا العدالة ، والإسلام ، وبذلك لا يقبل حديث من راو كافر. وكذلك: البلوغ والعقل:
لأنهما شرطان لتحمل التكليف الشرعية وليتم ضبط الكلام وصدقه، فلا تقبل رواية الصبي

والمجنون ، والتقوى: وفيها اجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر ، فلا يقبل خبر الفاسق الذي يرتكب المعاصي ولا سيما الكبيرة منها. ويدخل في ذلك المبتدع فلا تقبل روايته .

وأما شرط الضبط فيعرف بالمقاييس التي حددها العلماء كما يقول ابن الصلاح: "أن نعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته نادرة عرفنا حينئذ كونه ضابطاً، وإن وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه ولم نحتج بحديثه".

فإذا تحقق شرط العدالة والضبط في الراوي فيجب أخذ روايته والعمل بحديثه ويطلق عليه عندئذ (ثقة).

٢- الجرح والتعديل: والجرح: هو الطعن في راوي الحديث بما يسلب أو يخل بعدالته أو ضبطه. والتعديل: عكسه، وهو تزكية الراوي والحكم عليه بأنه عدل أو ضابط .

وهناك شروط وآداب للجرح والمعدل، وشروط لقبول الجرح والتعديل أو رده، ومراتب الجرح والتعديل، وألفاظ الجرح والتعديل التي يعتمد عليها العلماء، وغيرها من الشروط التي يطول بنا المقام لسردها. لا نريد التوسع فيها.

٣- الثقات والضعفاء: وقد ألفت مؤلفات في الثقات والضعفاء، لمعرفة أشخاص الإسناد وبالتالي معرفة درجة الحديث صحة وضعفاً، فمما أُلّف في الثقات: كتاب "الثقات" للإمام أبي حاتم محمد بن حبان (المتوفى سنة ٣٥٤هـ)، وكتاب "الثقات" للإمام أحمد بن عبد الله العجلي

المتوفى سنة ٢٦١هـ، و(كتاب تذكرة الحفاظ) للإمام الحافظ شمس الدين محمد الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨هـ). وما أُلّف في الضعفاء: "الكامل في الضعفاء" للحافظ الإمام أبي أحمد عبد الله بن عديّ (المتوفى سنة ٣٦٥هـ) وكتاب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) للإمام الذهبي، و(لسان الميزان) للحافظ ابن حجر العسقلاني. وغيرها كثير من الكتب التي تحدثت عن الثقات والضعفاء .

■ في نهاية المطاف نقول لهؤلاء المستشرقين : إن المقياس الذي يقاس به رواة الحديث مقياس علمي ودقيق، حيث تطرق إلى حال الرواة من جميع النواحي الدينية والعقلية والذهنية والصحية والاجتماعية، والأخلاقية، ووضع لهم عبر هذا المقياس مراتب ودرجات عن طريق الجرح والتعديل، وألفت عنهم الكتب والمصنفات لبيان حالهم، عبر هذه المسيرة العلمية الدقيقة والشاقة لحال الإسناد،

وصلت إلينا الأحاديث صافية وخالية من الكذب والتحريف أو الزيادة والإضافات من قبل الرواة أو غيرهم.

- فهل بعد هذا يمكن أن يقال ما ذكره شاخت من أن جزءاً من أسانيد الأحاديث اعتباطي أو أنها لم تجد عناية أو قوالب جاهزة أو نحو ذلك؟!!!
- أما بالنسبة لطعن شاخت في سند مالك عن نافع عن ابن عمر بأن نافعاً مات ومالك صغير، فهذا خطأ، فمالك كان صاحب حلقة في مسجد المدينة في حياة نافع. وقد رد روبسون على شاخت في هذا السند في مقاله " الإسناد في الحديث النبوي " وفي هذه المقالة عدل عن آرائه التي تابع فيها شاخت.
- هذه هي أهم الصواعق المحرقة لشبهات شاخت ومن على شاكلته نحو الإسناد والزعم بأن الحديث في أصله هو من كلام الفقهاء .

خلاصة القول وزبدة المقال

أولاً : مزاعم شاخت :

- ١ . قال " شاخت " بنظرية تطور الأسانيد، وتتلخص آراؤه في زعمه اختلاق الجزء الأكبر من الأسانيد، واعتقاده أن أقدم الأحاديث لا يرقى إلي ما قبل سنة ١٥٠هـ، وأن الأحاديث اختلقها الفقهاء وأصحاب الفرق .
- ٢ . طعن شاخت في سند مالك عن نافع عن ابن عمر بأن نافعاً مات ومالك صغير .
- ٣ . تبني شاخت في نظريته آراء سلفه جولدتسيهر ومارجوليوت حول مفهوم الحديث والسنة وتطورهما خلال القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري ، إلا أن شاخت زاد على ما ذكره فرعم: بأنه كانت عادة الجيلين من العلماء الذين سبقوا الشافعي أن ينسبوا الأحاديث إلى الصحابة والتابعين، ومن النادر أنهم كانوا ينسبونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
- يأتي بيان نظرية شاخت وقوله بتطور الإسناد في أن الأحاديث نسبت للنبي صلى الله عليه وسلم تدريجياً، فهي قبل أن تنسب له كانت آراء للمذاهب الفقهية السائدة ومنسوبة للتابعين، وفي المرحلة الثانية نسبت للصحابة، ثم نسبت للنبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا فهو يطلق على الإسناد بأنه الجزء الأكثر اعتباطاً من أجزاء الحديث، فهو يدعي بأنه: يمكننا أن نقول إنه كلما كان الإسناد متصلًا وتامًا فإنه يعني أنه اخترع في مرحلة متأخرة ويصل بذلك إلى نتيجة مفادها: أن كل

أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لها وجود أصلاً، بل اختُرعتْ ووُضِعَتْ
خلال منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فالأسانيد التي نراها مع
الأحاديث إنما هي كلها موضوعة.

■ زعم شاخت بأن الحديث كان يرويه عدة رواة وأن هؤلاء الرواة في النهاية يلتقون
عند راوٍ واحدٍ أخذوا عنه هذا الحديث في مرحلة من المراحل، إن هذا الراوي
الذي يلتقي عنده هؤلاء الرواة هو المسؤول عن وضع الحديث أو أن اسمه
استخدم في وضع الحديث.

ثانياً : دحض شبهات شاخت في قوله تطور الإسناد وادعاء أن السنة مجموع آراء فقهية :

أولاً : كان اهتمام علماء الحديث بالأسانيد قبل كل شيء انطلاقاً من قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ
نَادِمِينَ) . فقد روى مسلم عن مجاهد قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس، فجعل
يحدث ويقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم -، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه.

ثانياً : كان الإسناد علم بذاته من علوم الحديث اعتنى به علماء الأمة عناية مميزة؛ لأنه سند
السنة التي هي المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم .

ثالثاً : فاقت جهود الصحابة وعلماء الأمة من بعدهم التصور البشري لشدة اهتمامهم وعنايتهم
بالحديث النبوي .

رابعاً : وضع علماء الحديث للإسناد قواعد وأصولاً علمية دقيقة للوصول إلى الأحاديث
الصحيحة وترك غيرها من الضعيفة والموضوعة منها:

١- صفة من تقبل روايته ومن ترد: وقد اشترطوا للراوي العدالة والضبط . ٢- الجرح والتعديل
٣- الثقات والضعفاء .

■ فهل بعد هذا يمكن أن يقال ما ذكره شاخت من أن جزءاً من أسانيد الأحاديث

اعتباطي أو أنها لم تجد عناية أو قوالب جاهزة أو نحو ذلك!!؟

■ أما بالنسبة لطعن شاخت في سند مالك عن نافع عن ابن عمر بأن نافعاً مات

ومالك صغير، فهذا خطأ، فمالك كان صاحب حلقة في مسجد المدينة في حياة

نافع. وقد رد روبرسون على شاخت في هذا السند في مقاله " الإسناد في الحديث

النبوي " وفي هذه المقالة عدل عن آرائه التي تابع فيها شاخت.

- هذه هي أهم الصواعق المحرقة لشبهات شاخت ومن على شاكلته نحو الإسناد والزعم بأن الحديث في أصله هو من كلام الفقهاء ..

لا تنسوا امي واخي من دعواتكم

المحاضرة الرابعة عشرة

المستشرقون والعلوم والصناعات والاكتشافات عند المسلمين

أولاً

تعريف موجز بعلوم المسلمين وصناعاتهم واكتشافاتهم

ثانياً

دور المستشرقين في نقل علوم المسلمين وصناعاتهم واكتشافاتهم إلى (أوروبا)

ثالثاً

افتراق المستشرقين

(بخصوص الاعتراف بفضل المسلمين العلمي على أوروبا) فريقين

أولاً

تعريف موجز بعلوم المسلمين وصناعاتهم واكتشافاتهم

□ تمهيد: نشأة الحضارة الإسلامية وتطورها.

■ نشأت لدى العرب قديماً حضارة؛ حيث ورد ذكرهم عند مؤرخي الحضارات قبل ميلاد المسيح - عليه السلام - بأربعة إلى خمسة قرون. غير أن فجر الحضارة العربية الحقيقية لم يبرز إلا مع ظهور الإسلام؛ إذ بظهوره بدأت عملية إعادة صياغة للإنسان العربي في معتقداته وأفكاره وجميع أمور حياته، من قبل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وفقاً لتعاليم القرآن الكريم؛ فتأسس في (العهد النبوي) صرح حضاري إسلامي متين، تأتي (عقيدة التوحيد) في مقدمة أسسه الكثيرة التي قام عليها، ويليها: طلب العلم، وإتقان العمل، والتحلي بصالح الأخلاق، وممارسة المساواة، وتطبيق العدل، واغتنام الوقت في تحقيق المصلحتين: الخاصة والعامة، ونحو ذلك من الأسس الحضارية، التي ترسخت بقوة في عقل الفرد المسلم وقلبه، وفي ضمير الجماعة

ثم إن الحضارة الإسلامية التي أُرسيت دعائمها في العهد النبوي قد تطورت

عبر العصور شيئاً فشيئاً إلى أن بلغت القمّة؛ وفيما يأتي إيجاز ذلك: -

■ أولاً: عصر الخلافة الراشدة (١١-٤٠هـ).

في هذا العصر اهتم الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عنهم بفتوحات

البلدان؛ لنشر رسالة الإسلام على هدي الرسول

■ ثانياً: عصر الخلافة الأموية (٤١-١٣٢هـ).

ركز معظم الخلفاء الأمويين الأربعة عشر اهتمامهم على إرساء معالم الحضارة

الإسلامية؛ فازدهرت في عصرهم بعض نواحي العلوم، كما عبروا إلى إسبانيا

(الأندلس)، فأنشأوا فيها حضارة إسلامية راسخة لم تنزل آثارها قائمة حتى اليوم.

■ ثالثاً: عصر الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ).

✓ تطورت معالم الحضارة الإسلامية في عصر الخلفاء العباسيين (السبعة والثلاثين) كثيراً، ودخل المجتمع الإسلامي حينذاك عصره الذهبي.
✓ وكان من أبرز تلك المعالم: تأسيس بيت الحكمة على عهد الخليفة المأمون، كمجمع لكبار المترجمين والمفكرين والعلماء؛ ففيه تم ترجمة الكثير من كتب الفكر والعلوم من (اليونانية) و(الفارسية) و(الهندية) إلى (العربية) - مما أهل المسلمين لاستقبال الفكر الإنساني في أبلغ مصادره - وفيه تم تأليف الكثير من المصنفات في العلوم الدينية والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والطب والفلك والرياضيات والعلوم الطبيعية، وغيرها؛ بحيث يمكن القول إنَّ العصر العباسي رُفد الحضارة الإسلامية بالعلوم وشتى مجالات المعرفة؛ وهو ما ظهر أثره لاحقاً على الفكر العالمي والإنتاج الغربي.

□ إنجازات الحضارة الإسلامية في مجالات العلوم والصناعات والاكتشافات:

✓ بين القرنين (السابع والثالث عشر) الميلاديين، أقام المسلمون حضارة عالمية مزدهرة، جمعت إسبانيا وإفريقيا الشمالية (في الغرب) إلى شعوب العالم القديم من مصر إلى سوريا إلى بلاد ما بين النهرين (في الشرق).
✓ وقد حققت الحضارة الإسلامية في فترة ازدهارها الكثير من الإنجازات في شتى مجالات العلم، والصناعة، والاكتشافات العلمية؛ مثل: الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والفلك، والطب، والعمارة، والجغرافيا، والفلسفة، وغيرها.
✓ وقد استفادت (أوروبا) في نهضتها من هذه الإنجازات الإسلامية؛ وفيما يأتي بيان ذلك بإيجاز: -

• في مجال علوم الرياضيات:

✓ اخترع (الخوارزمي) - وهو أحد منجمي المأمون - (علم الجبر)، وانتشر هذا العلم بفضلهم في (أوروبا) والعالم.

✓ وأخذت (أوروبا) في الرياضيات عن العرب: (مفهوم الصفر) و (النظام العشري) - الذي دفع بعلم الرياضيات خطوات إلى الأمام - و (الأرقام العربية) - التي هي اليوم أوسع الأرقام انتشاراً في العالم -.

• في مجالي علوم الفيزياء وعلوم الكيمياء:

✓ أفاد الأوروبيون في مجال الفيزياء، وخاصّة في حقل (البصر والبصريّات) من مؤلفات (الكندي) و(الحسن بن الهيثم).

✓ كما أفادوا في مجال الكيمياء من مؤلفات (جابر بن حيان).

• في مجال علم الفلك:

✓ شهد علم الفلك ظهور (الإسطرلاب العربي) الذي أوجده العلماء المسلمون لتحديد أوقات الفجر والمغرب والصوم، ثم طوّروه فاكتشفوا خطوط الطول والعرض وسرعة الصوت والضوء، حتى أصبح ذلك مرجعاً لعلماء الغرب.

- ✓ وتمكن (البيروني) من اكتشاف دوران الأرض حول الشمس، وهو ما أثبتته العالم الأوروبي (جاليليو) بعد ستة قرون.
- ✓ وترجم الفلكيون العرب الثلاثة (الزرقالي، والفرغاني، والفرزاري) مؤلفات (بطليموس) في الفلك، وأضافوا إليها ما بات مرجعاً بعدهم للفلكيين الغربيين.
- **في مجال علوم الطب:**
- ✓ تفوق المسلمون في فنون الشفاء التي كانت معروفة في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين. وكان (ابن سينا) أول من أشار إلى الطب العقلي، وهو ما أصبح فيما بعد أساساً لعلم النفس.
- ✓ وكانت مؤلفات (الرازي) المتقدمة في الطب مرجعاً للأوروبيين حتى وقت متأخر من (القرن السادس عشر) الميلادي.
- ✓ كما ظل الأوروبيون حتى القرن (السابع عشر) الميلادي يتعلمون من نظريات (ابن سينا) الطبية.
- ✓ واشتهر عند المسلمين أيضاً أمر التداوي بالأعشاب والمواد الطبيعية (من ثوم، ومُر، وماء الزهر، وغيرها)، فكانت تزخر بها صيدلياتهم؛ ومنها انتشرت إلى الشرق الأوسط فأوروبا.
- **في مجال فن العمارة:**
- ✓ عرف المسلمون طرازاً معمارياً تجسد في بناء المساجد، ممّا عده الغربيون فيما بعد نماذج هندسية في فن البناء.
- ✓ ويعترف علماء الغرب أن (الجامع الأموي) في دمشق و(جامع ابن طولون) في القاهرة؛ كانا أساساً لبناء عدة كاتدرائيات ضخمة في أوروبا.
- ✓ وقد تأثر فن البناء الغربي كثيراً ببناء المآذن والأقواس والقناطر والأهلة والأطراف والمثلثات والمنحنيات المعكوسة وهندسة القباب والمكعبات، ممّا أخذه الأوروبيون عن مساجد مكة والقدس والقاهرة ودمشق.
- ✓ وكان لفن الزخرفة والخط والنقوش تأثير كبير على الأوروبيين؛ خاصة ما تركه العرب في الأندلس (كقصر الحمراء والجامع الكبير في قرطبة).
- **في مجال علم الجغرافيا:**
- ✓ كان للمسلمين تأثير كبير على الغرب في هذا المجال.
- ✓ وبرع (الإدريسي) خلال القرن الثاني عشر الميلادي بابتكاراته ومكتشفاته، حيث وضع أول أطلس في العالم، حاوياً سبعين خريطة، بعضها لمناطق لم تكن معروفة من قبل.
- ✓ وكانت رحلات (ابن بطوطة) وتدويناته خير معين للأوروبيين على معرفة مناطق جغرافية لم يكونوا يعرفونها.
- ✓ وفي القرن (السادس عشر) الميلادي، تمكن (حسن الوزان) من كشف مجاهل إفريقيا؛ ويدين له الغرب بذلك، ويُعرف عندهم باسم (ليون الإفريقي).
- **في مجال الفلسفة:**

نقل المفكرون المسلمون أهم مصادر الفلسفة المشرقية واليونانية القديمة ترجمة وتطويراً.

- ✓ فاشتهر (الكندي) بتطوير فلسفة (أفلاطون) و(أرسطو).
- ✓ واشتهر (الفارابي) بفكرة المدينة الفاضلة.
- ✓ واشتهر (ابن سينا) بفلسفته العقلية.
- ✓ واشتهر (ابن خلدون) بنظرياته الاجتماعية التي لم تنزل حتى اليوم في أصل مؤلفات الكثيرين من الفلاسفة الاجتماعيين الغربيين.
- واشتهر (ابن رشد) بفلسفته التي ارتكز عليها بعده فلاسفة غربيون كبار في فهم الفلسفة الإغريقية الأرسطية، واستمر تأثيره إلى عصر (كانط) في بداية القرن (التاسع عشر)

• في مجال فن الجنائن والحدائق:

- ✓ برع المسلمون في هذا المجال؛ فاستفاد الغرب منهم كثيراً فيه؛ فقد بات كتاب (الفلاحة الأندلسية؛ لابن العوام) مرجعاً أوروبياً في علم النبات؛ لأنه وصف فيه نحو خمسمائة نبتة وبيّن طريقة زراعتها والاعتناء بها وبالأرض والتربة.
- ✓ وكذلك ظل الأوروبيون لوقت طويل يستفيدون من العرب (وخاصة الأندلسيين) في فنون حفظ: الخضروات والفواكه والأزهار، ومواد التجميل، ومساحيق الوجه والعطور والتطيب، والجواهر والحلي.
- في مجال الملاحة:

أبدع المسلمون في هذا المجال؛ وقد استعان المستكشف الأوروبي (فاسكو دي جاما) خلال رحلاته الشهيرة بالملاح العربي (أحمد بن ماجد) وجعله البحار الرئيسي في القيادة.

• في مجال الحرفيات الدقيقة والمُنتَمات:

- ✓ برع المسلمون في الحرفيات الدقيقة والمُنتَمات، وفي الزجاجيات والخزف والحفر والبُور ومزج الألوان وصباغة الحرير والأقمشة والجلود والدباغة وصقل الحديد.
- ✓ وقد استفاد الغرب منهم كثيراً بهذا الخصوص، ولم تنزل بعض هذه الخامات والحرف تحمل في الغرب اسمها الأصلي (دمقس، حرير دمشق، دباغة مغربية، أزرق محمدي)، ويرُدّها بعض الغربيين صراحة لأصلها العربي.
- ✓ وقد أخذ الغربيون كذلك جمالية الخط العربي متأثرين باللغة العربية نفسها؛ لذلك دخلت كلمات وعبارات عربية كثيرة إلى عدة لغات أوروبية، ولم تنزل حتى اليوم في نسيج هذه اللغات (مثل: الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والإيطالية، والألمانية).

- وهذا غيض من فيض ممّا للمسلمين فيه السبق والابتكار، وتم نقله إلى الغرب بعد ذلك. وفي مكتبات العالم اليوم آلاف الوثائق التي تشهد بالفضل للمنجزات الحضارية الإسلامية في حقول: الفلك، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والطب، والصيدلة، والجغرافيا، والعمارة، والموسيقى، وما كان

لهم من تأثير في تصنيع النسيج، والورق، والدهان، والصابون، والحبر، والشمع، والسكر، والنشاء، والزيوت النباتية، والعمود، والبارود، وكذلك في اكتشاف أو تطوير: الميزان، وعقرب الساعة، والساعة المائية، والطاحونة المائية، والهوائية، والآلات الفلكية، وأجهزة (سكب المعادن وصك النقود) والمعدات الحربية، والأدوات الطبية والجراحية، وكذلك بناء (الجسور والقنوات المكشوفة) وجِرّ المياه، والتدفئة والتبريد، وأنظمة الري، والحمامات العامة، وأبراج المراقبة، والتحصينات العسكرية، وسواها من المنشآت والإنشاءات والابتكارات والاكتشافات!

□ استفادة الغرب من منجزات الحضارة الإسلامية في الأندلس .

• فُتِحَ العرب المسلمون بلاد الأندلس بقيادة (طارق بن زياد) في رمضان عام (٩٢ هـ - ٧١١ م)، بعد أن انتصروا على جيوش القوط، وأسّسوا دولة إسلامية حكمت ثمانية قرون من الزمان، تمتد من نهاية (القرن الأول) حتى نهاية (القرن الثامن) الهجريين (٩٢ - ٧٩٨ هـ)، الموافق للفترة من القرن (الثامن) حتى نهاية القرن (الخامس عشر) الميلاديين (٧١١ - ١٤٩٢ م).

• وقد أدّت الأندلس، دوراً مهماً في نقل منجزات الحضارة الإسلامية من الشرق الإسلامي إلى الغرب النصراني، حيث حملت مشاعل الفكر والمعرفة مضيئة ما حولها من ظلام الغرب وتخلّفه، قبل أن يبدأ ما عُرف بعصر النهضة، الذي كانت (أوروبا) تعيش قبله مرحلة تاريخية عُرفت لدى المؤرخين بالعصور المظلمة.

○ وقد شملت الحضارة الإسلامية في الأندلس مجالات متعددة؛ فكانت بها مدارس للطب والهندسة والرياضيات والعلوم، ومستشفيات ومعامل للكيمياء ومرصد للفلك، وكانت جامعة قرطبة منارة شامخة للفكر والثقافة. وقد نقل العلماء الأندلسيون إلى الغرب كل معطيات الحضارة الإسلامية خلال زيارتهم للجامعات الأوروبية (سواء الإسبانية أو الفرنسية أو غيرها)، أو خلال تدريسهم للطلاب الأوروبيين القادمين لتلقي العلم في الأندلس.

○ كما طورت مصانع (شاطبة) صناعة الورق - بعد اكتشافه في الصين - وتم انتقاله عن طريقها إلى إيطاليا في القرن (الثالث عشر) الميلادي، ومنها إلى فرنسا وإنجلترا في القرن (السادس عشر) الميلادي؛ فكان أعظم عامل في النهضة الأوروبية.

○ وصنع المسلمون الأندلسيون البارود واستعملوه في حروبهم البحرية سنة (٩٠٦ م)، وفي حصارهم لصقلية سنة (٩٧٢ م)، وعنه أخذها الغربيون.

ثانياً

دور المستشرقين في نقل علوم المسلمين وصناعاتهم واكتشافاتهم إلى (أوروبا)

■ أدّى المستشرقون دوراً بارزاً في عملية نقل علوم المسلمين وصناعاتهم واكتشافاتهم إلى (أوروبا)، وقد تعددت طرق عملية النقل تلك؛ فمنها - على سبيل المثال لا الحصر - ما يأتي: -

١. طريق الأندلس؛ حيث توافدت البعثات الأوروبية (الشخصية والرسمية) على مراكز الحضارة الإسلامية في الأندلس.

أ- فمثلاً اعتمدت جميع مراكز التعليم في (أوروبا) على قرطبة وإشبيلية وظليطة وغرناطة؛ حيث كان الطلاب يشدون الرحال إليها، ويقضون فيها السنوات الطوال؛ في الدراسة والاطلاع على مؤلفات المسلمين، وكان في مقدمة هؤلاء الراهب الفرنسي المستشرق (جربرت دي أورياك)؛ الذي وفد إلى الأندلس في عصر الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ)، ودرس على أيدي العلماء المسلمين الرياضيات والفلك والكيمياء، وحينما عاد إلى وطنه، - بعد أن بلغ من العلم مبلغاً - خُيل لعامة فرنسا حينذاك أنه ساحر .

ب- كما أرسلت إلى الأندلس بعثات ذات طابع رسمي من قبل حكومات بعض الدول الأوروبية، وأخذت هذه البعثات تتوالى على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد أخرى؛ حتى بلغت في عهد الخليفة الناصر (سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م) زهاء سبعمائة طالب وطالبة.

ج- ولم يقتصر الأمر على البعثات الموجهة من الغرب إلى بلاد المسلمين، بل قام بعض ملوك أوروبا باستقدام علماء الأندلس لتأسيس المدارس ونشر ألوية العلم والعمران؛ فخلال القرن (الثالث) الهجري (التاسع الميلادي) وما بعده وَقَّعت حكومات هولندا وسكسونيا وإنجلترا عقوداً مع حوالي تسعين أستاذاً بمختلف العلوم من الأساتذة المسلمين الأندلسيين للتدريس لديها، وقد اختير هؤلاء من بين أشهر العلماء الذين كانوا يحسنون اللغتين الإسبانية واللاتينية إلى جانب اللغة العربية .

٢. طريق الترجمة:

أ- فخلال الفترة الممتدة من منتصف (القرن الخامس) إلى أواخر (القرن السابع) الهجريين (منتصف القرن الحادي عشر إلى أواخر القرن الثالث عشر الميلاديين)؛ تم ترجمة العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية، كما تم أيضاً ترجمة العلوم العربية الإسلامية؛ وذلك من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، وإلى غيرها من اللغات الأوروبية. وقد أثر ذلك تأثيراً إيجابياً كبيراً في نهضة (أوروبا)، ونقلها من عصر الظلام والتخلف إلى عصر الانبعاث والتقدم، وكان للمستشرقين دور كبير في إثراء هذه الوسيلة والتحفيز عليها.

ب- وقد كان من أقدم المترجمين الأوروبيين وأعظمهم كل من: المترجم (أديلارد أوف بان)، والمترجم (مايكل سكوت).

ثالثاً

افتراق المستشرقين

(بخصوص الاعتراف بفضل المسلمين العلمي على أوروبا) فريقين

افتراق المستشرقين (بخصوص الاعتراف بفضل المسلمين العلمي على أوروبا) فريقين؛ هما: -

□ الفريق الأول؛ الجاحدون المنكرون:

وهؤلاء فئة كثيرة؛ أعماهم تعصبهم عن إِبصار الحقيقة الماثلة أمامهم فجددوها،
ودفعهم حقدهم على الإسلام وأهله إلى إنكار النتاج العلمي لعلماء المسلمين
فتجاهلوه وطمسوا معالمه.

□ **الفريق الثاني؛ المُقرِّون المعترفون:**

وهؤلاء فئة قليلة؛ أقرّوا بالحقيقة الماثلة أمامهم، واعترفوا بفضل العلماء
المسلمين في حفظ التراث العلمي الإنساني من الضياع، ونقل العلم الإغريقي
وغيره إلى اللغة العربية، ثم الإضافة إليه والزيادة عليه، وشهدوا للمسلمين
بالفضل العلمي على أوروبا. **فمن شهادات هذه الفئة القليلة:** -

I. شهادة المستشرق **جوستاف لوبون؛** الواردة في كتابه (حضارة العرب)،
وفيما يأتي مقتطفات منها: -

أ- **قال:** “ وكما أمعنا في دراسة حضارة العرب والمسلمين وكتبهم العلمية
واختراعاتهم وفنونهم؛ ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة، ولسرعان ما
رأيتهم أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وإنَّ
جامعات الغرب لم تعرف لها - مدة خمسة قرون - مورداً علمياً سوى
مؤلفاتهم، وإنَّهم هم الذين مدَّنوا أوروبا مادةً وعقلاً وأخلاقاً، وإنَّ التاريخ لم
يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وإنَّه لم يفقهم قوم في الإبداع
الفني ”.

ب- **وقال:** “ ولم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على
أنفسهم؛ فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب، فهما [أي: الشرق
والغرب]

مدينان لهم في تمدُّنهم، وإنَّ هذا التأثير خاص بهم وحدهم؛ فهم الذين هذبوا بتأثيرهم
الخلقي البرابرة، وفتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية
والأدبية والفلسفية؛ فكانوا مُمدِّنين لنا وأئمة لنا ستة قرون، فقد ظلت ترجمات
كتب العرب - ولا سيَّما الكتب العلمية - مصدراً وحيداً للتدريس في جامعات
أوروبا خمسة قرون أو ستة؛ **فعلى العالم أن يعترف للعرب والمسلمين بجميل
صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة ”.**

ج- **وقال:** “ ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب إلا بتصور حال أوروبا حينما
أدخلوا الحضارة إليها، إذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر الميلاديين
- حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانيا ساطعة جداً- رأينا أنَّ مراكز
الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بأنهم لا
يقرءون، وأنَّ أكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين
الجاهلين الذين يقضون أوقاتهم في أديرتهم ليكتشطوا كتب الأقدمين النفيسة
بخشوع ”.

II. شهادة المستشرق **ول ديورانت؛** الواردة في كتابه (قصة الحضارة)، وفيما
يأتي مقتطفات منها: -

أ- قال: “ وقد تأثر الصليبيون بروعة الزجاج المنقوش في بلاد الإسلام، وربّما كان من نتائج تأثرهم بها أنهم نقلوا من بلاد الشرق الأسرار الفنية التي أدت إلى تحسين الزجاج الملون الذي نشاهده اليوم في الكنائس ”.

ب- وقال: “ وقد أخذ الأوروبيون أيضاً فكرة صناعة الطواحين المائية، حيث عُرفت لأول مرة في أوروبا الغربية عام (١٠٥١م)؛ أي مع بداية الحروب الصليبية، بعد أن شاهد المسيحيون سعة انتشارها ”.

III. شهادة المستشرق زيجريد هونكة؛ الواردة في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)، وفيما يأتي مقتطفات منها: -

أ- قالت: “ لقد شاء الله أن يظهر من الأوروبيين من ينادي بالحقيقة والإنصاف ولا يبغض العرب حقهم، في أنهم حملوا رسالة عالمية، وأدوا خدمة إنسانية للثقافة البشرية قديماً وحديثاً. إنَّ هذا النفر من الأوروبيين المنصفين، لا يابه بتحدي المتعصبين الذين حاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية والتقليل من شأنها ”.

ب- وقالت: “ إنَّ أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية، وإنَّ الدين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جداً، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد، ولكنَّ التعصب

واختلاف العقائد أعمى عيوننا، وترك عليها غشاوة حتى إننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة، فلا نجد فيها إشارة إلى فضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة؛ اللهم إلا هذه الإشارة العابرة إلى أن دور العرب، لا يتعدى دور ساعي البريد، الذي نقل إليهم التراث اليوناني ”.

ج- وقالت: “ إنها سببٌ أن يعلم أهل العلم من الأوروبيين، أنَّ العرب أصحاب نهضة علمية لم تعرفها الإنسانية من قبل، وأنَّ هذه النهضة فاقت كثيراً ما تركه اليونان أو الرومان ولا يقدرّون هذا.

إنَّ العرب ظلوا ثمانية قرون طوال، يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً وحضارة، كما أخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات إلى النور، ونشروا لواء المدنية، إنَّهم ذهبوا في أفاصي البلاد ودانيتها، سواء في (آسيا) أو (إفريقيا) أو (أوروبا)، ثم تنكر أوروبا على العرب الاعتراف بهذا الفضل ”.

الواجبات :

الواجب الأول :

- (١) إحدى العبارات الآتية تحتوي على معلومة صائبة : وهي عبارة
- (كتاب الاستشراق والدراسات الاسلامية : هو من تأليف : عبد القهار بن داود
العاني)
- كتاب الاستشراق والدراسات الاسلامية : هو من تأليف : إدوارد سعيد
- كتاب الاستشراق والدراسات الاسلامية : هو من تأليف : سالم ياقوت
- كتاب الاستشراق والدراسات الاسلامية : هو من تأليف : يوهان فوك
(٢) عاش الغرب النصراني خلال العصور الوسطى مرحلة تاريخية عرفت لدى
المؤرخين باسم :

- العصور المشرقة

- العصور المثمرة

- العصور المزدهرة

- (العصور المظلمة)

- (٣) المترجم الذي تعلم اللغة العربية في الاندلس ، ثم دخل في خدمة ملك صقلية (فرديريك الثاني) وترجم العلوم والفلسفة من العربية : هو :

- اديلارد اوف بان

- (مايكل سكوت)

- جبرار الكريموني

- روبرت اوف كيتون

الواجب الثاني :

- (١) إحدى العبارات الآتية تحتوي على معلومه صائبه : وهي عبارة
- اثر الاستشراق في العالم الاسلامي تأثيرات سلبية في المجال الديني فقط

- اثر الاستشراق في العالم الاسلامي تأثيرات سلبية في المجال العلمي فقط
 - اثر الاستشراق في العالم الاسلامي تأثيرات سلبية في المجال السياسي فقط
 - (اثر الاستشراق في العالم الاسلامي تأثيرات سلبية في كل المجالات الديني والعلمي وغيرهما)
- (٢) الدولة التي انطلقت اليها (البعثات العلمية الأولى) من بعض الاقطار الإسلامية هي :

- روسيا
- (فرنسا)
- بريطانيا
- النمسا

(٣) يعد انجذاب بعض ابناء المسلمين الى الاهتمام بدراسة الطرق الصوفية أو اتباعها) :

- (اثر من الآثار السلبية للاستشراق في المجال الديني)
- اثر من الآثار السلبية للاستشراق في المجال الديني
- اثر من الآثار السلبية للاستشراق في المجال الاقتصادي
- اثر من الآثار السلبية للاستشراق في المجال الاقتصادي

الواجب الثالث :

- (١) احدى العبارات الآتية تحتوي على معلومة صائبة ؛ وهي عبارة :
- تعريف السنة (اصطلاحاً) : هي الطريقة والعادة ، حسنة كانت ام سيئة
 - تعريف السنة (شرعاً) : هي الطريقة والعادة ، حسنة كانت ام سيئة
 - (تعريف السنة (لغة) : هي الطريقة والعادة ، حسنة كانت ام سيئة)
 - تعريف السنة (شرعاً) عند الفقهاء : هي الطريقة والعادة ، حسنة كانت ام سيئة

(٢) تعريف الحديث النبوي (شرعاً) :

- علم يعرف به اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم – فقط
 - علم يعرف به افعال الرسول صلى الله عليه وسلم – فقط
 - علم يعرف به احوال الرسول صلى الله عليه وسلم – فقط
 - (علم يعرف به اقوال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وافعاله واحواله)
- (٣) طعن المستشرقون المتعصبون في حجية السنة النبوية ، وشككوا في ثبوتها واثاروا الشبهات حولها :

- (وذلك في سياق محاربتهم للإسلام)
- وذلك في سياق محبتهم للإسلام
- وذلك في سياق نصرتهم للإسلام
- وذلك في سياق سعيهم إلى اعتناق الإسلام

(٤) الذي قال : إذا حذفنا الاحاديث الكاذبة لم يتبق من الاسلام شيء ،
وصار شبه صبيره طومسون :

- هو المستشرق (جولد زيهر)
- هو المستشرق (جوستاف لوبون)
- (هو المستشرق (هاملتون جب))
- هو المستشرق (نويل كولوسون)

لا تنسوا امي واخي من دعواتكم

اهم ما ذكر بالمباشرة الثالثة

م	اسم المستشرق	جنسيته	تاريخ وفاته	محاضرة / شريحة	ملحوظة
1	جورج سارتون	لم تُذكر	لم يُذكر	12/1	مستشرق منصف
2	أديلارد أوف بان	لم تُذكر	لم يُذكر	16/1	مترجم
3	مايكل سكوت	لم تُذكر	لم يُذكر	16/1	مترجم
4	روجر باكون	لم تُذكر	لم يُذكر	16/1	
5	جيرار الكريموني	لم تُذكر	لم يُذكر	17/1	مترجم
6	ولفرد سميث	لم تُذكر	لم يُذكر	6/2	
7	برناردشو	لم تُذكر	لم يُذكر	8/2	
8	كيمون	لم تُذكر	لم يُذكر	8/2	
9	رودي بارت	ألماني	لم يُذكر	5/3	
10	إدوارد سعيد	لم تُذكر	لم يُذكر	5/3	
11	يوحنا الدمشقي	لم تُذكر	749م	11/3	
12	جزبرت / (جزبرت دي أورباك)	فرنسي	لم يُذكر	19/14+ 11/3	

م	اسم المستشرق	جنسيته	تاريخ وفاته	محاضرة / شريحة	ملحوظة
13	روبرت أوف كيتون	لم تُذكر	لم يُذكر	12/3	مترجم
14	فرمان أوف دالماتيا	لم تُذكر	لم يُذكر	12/3	مترجم
15	سيلفستر دي ساسي	فرنسي	لم يُذكر	15/3	
16	آني ماري شميل	ألمانية	لم يُذكر	10/4	مستشرفة منصفة
17	ليوبلد فايس (محمد أسد)	نمساوي	لم يُذكر	11/4	مستشرق منصف
18	دانين دينيه (ناصر الدين دينيه)	فرنسي	لم يُذكر	11/4	مستشرق منصف
19	روجيه جارودي (رجاء جارودي)	فرنسي	لم يُذكر	11/4	مستشرق منصف
20	كارل بروكلمان	ألماني	لم يُذكر	13/4	
21	هنري لامانس	بلجيكي	لم يُذكر	8/6+ 13/4	مستشرق مُنصّر
22	جونار	فرنسي	لم يُذكر	5/5	
23	يوهان فوك	لم تُذكر	لم يُذكر	7/6	

م	اسم المستشرق	جنسيته	تاريخ وفاته	محاضرة / شريحة	ملحوظة
24	ألفريد جيوم	إنجليزي	لم يُذكر	8/6	(مستشرق مُنصر)
25	روبرت سميث	اسكتلندي	لم يُذكر	8/6	(مستشرق مُنصر)
26	صمويل زوينر	أمريكي	لم يُذكر	13/6 + 8/6	(مستشرق مُنصر)
27	ريموند لول	لم تُذكر	لم يُذكر	9/6	(مستشرق مُنصر)
28	الكونت دوفولني	فرنسي	لم يُذكر	8/7	مستشرق خدم الاستعمار
29	بارتولد	روسي	1930م	9/7	مستشرق خدم الاستعمار
30	كارل بيكر	ألماني	1933م	9/7	مستشرق خدم الاستعمار
31	سنوك هزجرونجه	هولندي	1936م	10/7	مستشرق خدم الاستعمار
32	ذئكان ماكديونالد	أمريكي	1943م	11/7	مستشرق خدم الاستعمار
33	لويس ماسينيون	فرنسي	1962م	12/7	مستشرق خدم الاستعمار
34	هاملتون جب	إنجليزي	1971م	6/12+10/8+12/7	مستشرق خدم الاستعمار

م	اسم المستشرق	جنسيته	تاريخ وفاته	محاضرة / شريحة	ملحوظة
35	إجناز جولد زيهر	مجري	1921م	10/8	
36	برنارد لويس	لم تُذكر	لم يُذكر	12/8	
37	جوستاف لويون	فرنسي	1931م	14/8	
38	هريلو	فرنسي	1695م	9/10	
39	سبرنجر	لم تُذكر	1893م	11/10	
40	ميورت	لم تُذكر	1905م	11/10	
41	كايتاني	لم تُذكر	1926م	11/10	
42	هوروفيتس	لم تُذكر	1931م	12/10	انتقد آراء جولد زيهر
43	فيوك	لم تُذكر	1939م	12/10	انتقد آراء جولد زيهر
44	فنسك	لم تُذكر	1939م	12/10	آيد آراء جولد زيهر
45	نيكولسون	لم تُذكر	1945م	12/10	آيد آراء جولد زيهر
46	جوزيف شاخت	ألماني	1969م	10/13 + 12/10	

م	اسم المستشرق	جنسيته	تاريخ وفاته	محاضرة / شريحة	ملحوظة
47	نويل كولسون	إنجليزي	لم يُذكر	9/11	معاصر
48	أرنولد جوزيف توينبي	إنجليزي	1975م	4/12	
49	كولسوف	لم تُذكر	لم يُذكر	16/13	
50	ول ديورانت	لم تُذكر	لم يُذكر	25/14	مستشرق منصف
51	زيجريد هونكة	لم تُذكر	لم يُذكر	26/14	مستشرفة منصفة